31.5.2014

@ketab_n
Follow Me

ڤولتير

كَنديد
أو
التفاؤل

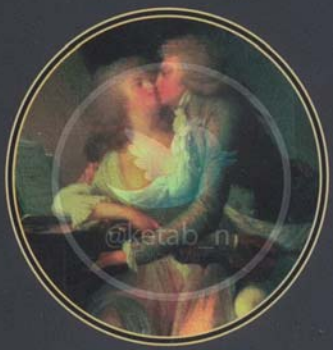
@ketab_n

ترجمة عادل زعيتر

فولتير

كنديد

أو التفاؤل

@ketab_n
Follow Me

ترجمة
عادل زعيتر

Twitter: @ketab_n

کندید

Twitter: @ketab_n

رقم الإيداع: 2012/20907
الترقيم الدولي: 978-9953-582-41-2

طبعة دار التنوير الأولى: 2012

جميع الحقوق محفوظة للناشر
الناشر: © دار التنوير
بيروت ـ القاهرة ـ تونس

التنوير للطباعة والنشر والتوزيع

لبنان: بيروت ـ الجناح ـ مقابل السلطان إبراهيم
سنتر حيدر التجاري الطابق الثاني هاتف وفاكس 009611843340
مصر: القاهرة ـ وسط البلد ـ 8 شارع قصر النيل ـ الدور الأول ـ شقة 10
هاتف: 00201007332225 ـ 0020227738931 فاكس: 0020227738932

البريد الإليكتروني: info@dar-altanweer.com
الموقع الإليكتروني: www.dar-altanweer.com

تصميم الغلاف: عمر مصطفى
تصحيح لغوي: رفعت فرج

All rights reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any means; electronic, Mechanical, photocopying, recording or otherwise, without the prior permission, in writing, of the publisher.

Twitter: @ketab_n

مقدّمة المترجم

أقدِّم ترجمة «كنديد» لفولتير...

وُلد فولتير بباريس ١٦٩٤، ومات فيها سنة ١٧٧٨...

وُلد، وعُمِّد في غدِ يومِ وِلادته، وأُطلق عليه اسم فرنسوا ماري أَرُوِيه، فأَرُوِيه اسم أسرته وفرنسوا اسم والده وماري اسم أمّه، فكان جامعًا للأسماء الثلاثة، والأبوان من بواتُو أصلًا، وأسرة أَرُوِيه كانت قبل وِلادته بجِيلينِ قد اتّخذت باريس لها مستقرًّا، وكان جَدّ الأسرة تاجرًا موفّقًا، ولم يكن فولتير ليعرِف أمّه جيّدًا، فقد ماتت أيام كان في السابعة من سِنِيه، وأمّا أبوه فقد مات سنة ١٧٢١ تاركًا له شيئًا من المال.

وكان أبوه فرنسوا موثّقًا[1] بباريس، وكانت أمّه صديقةً لعرَّابة الأب شاتُونُوف. وهذا الكاهن هو الذي حبّب الأدب والدِّين الطبيعي إلى فولتير وعرّفه المجتمعَ الراقي منذ صباه فأبدى تفوُّقًا في القريض أيّام صغره بما يُثيرُ العجب.

---

(١) Notaire.

Twitter: @ketab_n

ويُدخَل، ابنًا للعاشرة من عمره إلى كليّة لويس الأكبر التي كان يقوم بإدارتها أناسٌ من اليسوعيّين، ويبقَى فيها حتّى سنة ١٧١١، وما عليه من مَيل إلى الدِّين الطبيعي ونزوع إلى الحريّة كان يحمله على الحطِّ من قيمة التربية اليسوعية.

غادر المدرسة وعاد إلى بيت أبيه في تلك السنة، فيشتدُّ الخلاف بينهما حول ما يُزَاوِل، فالابنُ يريد الأدب، والأبُ لا يعترف بالأدب مهنةً، ويُذعن الابن مؤقتًا فيعنى بالفقه ظاهرًا، ويُكِبُّ على الأدب حقيقةً.

وكان الأبُ «دو شاتُونوف» قد مات قبل أن يتمّ ابنه في العماد فولتير دراسته، ولكن بعد أن جعله ينتسب إلى منظّمة التانبل المشهورة، ويحاول أبوه أن يفصلَه عن هذه المنظمة؛ ليكون من أنصار المركيز دو شاتُونوف الذي هو أخٌ للأبِ دو شاتُونوف، وهنالك يتعرّف بالمدعوّة أولنب دونويه البروتستانية المُعسِرة التي هي بنْتٌ لسيدةٍ أديبة، فيحُول أبوه اقترانهما بعد وعيدٍ وحصول على أمرٍ بالقبض عليه لم ينفّذ، أجل، لقد أذعن الابن وتظاهر بالعمل في مكتب لأحد المحامين.

ويبلغ فولتير الثالثة والعشرين من سِنِيه، وتُنشر أُهجُوّة عن الوصيّ على العرش، وتُعزَى إلى فولتير على غير حقٍّ، فيُعتقل في الباستيل حيث قضى أحدَ عشرَ شهرًا، وحيث عزم على تغيير اسمه، فلمّا خرج من الباستيل عُرِف بفولتير بعد أن كان يُعرَف باسم أسرته «أرُويه» كما قدّمنا.

Twitter: @ketab_n

وليست هذه المرّة وحدها هي التي يُزجّ فيها بفولتير في الباستيل، فبعد ثمانية أعوام من ذلك التاريخ أهانه أحدُ الأشراف الفارسُ دو روهان، وأرسل من الأُجراء مَن يضربونه بالعِصِيّ، ويدعو فولتير دو روهان إلى المبارزة، ويرضى هذا الشريف الفارس بما دعاه إليه فولتير، ولكن فولتير يقابَل بالاعتقال في الباستيل في صباح اليوم المعيّن للمبارزة بدلًا منها، ويقضي في هذا المعتقل نصف عامٍ، فلمّا خرج من الباستيل هاجر إلى إنكلترة حيث أقام ثلاث سنين (١٧٢٦ ـ ١٧٢٩).

وقد تعلّم فولتير الإنكليزية أثناء إقامته بإنكلترة، واتصل بعلية القوم اتصالًا وثيقًا، وأُعجب بالدستور الإنكليزي وبتسامح الإنكليز الدينيّ وحريّتِهم السياسية أيّما إعجابٍ، وكان لأخلاق هؤلاء الناس وعاداتهم بالغُ الأثر فيه.

ويعود إلى باريس حاملًا في ذهنه كثيرًا من المشاريع في الحريّة السياسيّة والإصلاحات الدينية، فينشر في سنة ١٧٣٤ كتابه «الرسائل الفلسفية» أو «الرسائل الإنكليزية» حيث أثنى على نظام ذلك البلد، فقال: «إنّ أميره البالغَ القدرةِ على صنع الخير مقيَّد اليدين في صنع الشر»، وفي هذا الكتاب يعرض فولتير نظريات الفيلسوف الإنكليزي لُوك ويحمل حملة شعواءَ على الاستبداد والتعصّب الديني وسلطان الإكليروس فيُعَدّ هذا الكتاب هدّامًا فتقضي المحكمة العليا (البرلمان) بجمع نُسخِه وإحراقها «لمخالفته للدِّين وحُسن الأخلاق»، ويُؤمر باعتقال فولتير، ولم

Twitter: @ketab_n

ينجُ من السجن في الباستيل للمرّة الثالثة إلا بالفرار، ويقضي عامًا في دُوكيّة اللُّورين المستقلّة، ثم يُلغى أمر اعتقاله وتُطلَق له حرية العَود إلى باريس ١٧٣٥.

وبعد عام، أي في سنة ١٧٣٦، يَتَلقّى أوّل كتابٍ من وليٍّ عهد بروسية: فردريك، وتكثُر المراسلة بينهما، ويُنادى بفردريك ملكًا لبروسية ويحاوِل اجتذاب فولتير إليه في بُوتسدام، وهو لم يُجِب فردريك الأكبر إلى طلبه إلّا في سنة ١٧٥٠، ففي هذه السنة غادر باريس إلى برلين حيث أقام ثلاث سنين، وقد أَجرَى فردريك الأكبر عليه راتبًا سنويًّا في هذه المدّة، وما كان فردريك ليقتصر على صلته الأدبية بفولتير مع ما كان يحبُوه به من رعاية شاملة، وما كان فولتير ليطيق مساواة أحدٍ به في الحظْوَة لدى ذاك العاهل، فيضيق كلٌّ منهما بصاحبه ذرعًا، وأخيرًا يُبلَّغ تشبيهَ فردريك له بالبرتقالة التي تُعصَر فيُطرحُ قشرها، فيجيب فولتير عن هذا بأنّه ما فتئ يُزيل الأقذار عن ثياب فردريك، ويترك فولتير بُوتِسدام في سنة ١٧٥٣.

وكان فولتير قبل سنة ١٧٣٥ يُعَدّ من ذوي النباهة فقط، فلا يُحسب من ذوي الخَطَر ولا ينظر إليه بعين الجِدّ، وأمّا في السنين العشرين التي عقبت سنة ١٧٣٥ فكان من سماته البارزة أنّه مُدوِّن لوقائع لويسَ الخامسَ عشرَ بفرساي وضيفٌ كريم لدى فردريك الأكبر مع محاولته تمثيل دورٍ سياسيٍّ عنده، وقد عُنِي فولتير في هذا الدور من حياته بالعلوم والتاريخ والروايات المسرحية على الخصوص، فلم يبلغ الستين من عمره حتّى كان مخرجًا للنّاس كتب «عصر لويس

Twitter: @ketab_n

الرابع عشر» و«الطبائع والأخلاق» و«الروايات»، وكان فولتير من طبقة البُرجوازية التي تَلِي طبقة الأشراف، وكان يرى تلافي هذا الفرق بالغنى، فلم يهمل مصالحه الماليّة، قال بُرونْتِير: «لقد أدرك فولتير أنّ تمثيل دورٍ في المجتمعات الراقية يتطلّب ثراءً عند عدم الانتساب إلى طبقة الأشراف»، ويضارب ويكسِب في المضاربة، ويُكتب له التوفيق في كثرة الربح من كتبه وأعماله المالية، فيبلغ دخله السنوي حين وفاته نحو ٣٧٠ ألف فرنك من الذهب. ويغدو فولتير محلّ شبهةٍ لدى ملك فرنسة لويس الخامس عشر كما سبق أن ساءت صلاته بفردريك الأكبر، وقد صار من الثراء ما يَقدِر معه على ابتياع القصور، فاشترى قصر فِيرْنِه الواقع على حدود سويسرة والمُشرِف على بحيرة جنيف (١٧٥٥) حتّي إذا ما أُمِر باعتقاله تمكّن من الفِرار، وقد أقام بهذا القصر حتّى قُبيل موته.

ولم يكن فولتير ليتمتّع بصحّةٍ جيّدة، وما لاقى في الحين بعد الحين من مِحَن كان يسوقه إلى الموت، ومن العجيب، مع ذلك، أن أبدى في السنين الثلاث والعشرين التي بقيت له من عمره نشاطًا عظيمًا على الرغم من مَشِيبه، فشنّ في هذه المرحلة الأخيرة من سِنّه غارة شديدة على الاستبداد والتعذيب وعدم التسامح وجرائم التعصُّب ومظالم القضاء، وممّا حدث أن اتُّهِم تاجرٌ بروتستاني من تُولُوز اسمه كالاس بقتل ابنه فحَكَم البرلمان (المحكمة العليا) عليه بالإعدام ونُفِّذ الحكم فيه مع التعذيب سنة ١٧٦٢، ويَطَّلع فولتير على براءة كالاس وعلى أنّ الابن مات منتحرًا وعلى ضلال القضاء فيشهر

Twitter: @ketab_n

حربًا ضروسًا على ظلم المحكمة ويطالب بردّ اعتبار ذلك المسكين فيقضي برلمان باريس بهذا في سنة ١٧٦٥، ويَحمِل فولتير على تعويض أسرة المظلوم، فينال لها من الحكومة مبلغًا من المال، ويتّفق له مثل هذا التوفيق في ردِّ اعتبار لَالِّي تولِندال في سنة ١٧٧٨.

وفي ذلك الدور الأخير من حياته عاد لا يؤثِّر في الرأي العام بالكتب المطوَّلة، وإنّما صار يؤثِّر فيه، على العموم، بما كان يرسل من رسائل نُشرِت له منها عشرة آلاف، وبما كان يَنشر من كراريس وأضابيرَ لا يُحصى لها عدٌّ، فظهر معظمها بأسماءٍ مستعارة مستوحيًا فيها حوادث الساعة، وبذلك يكون قد قام بتمثيل دور أنشط الصحفيين الذين عُرِفوا حتّى ذلك الزمن وأشدِّهم لذعًا وأكثرهم لمعًا.

وفي ذلك الدور الأخير من حياة فولتير يظهر كتابه «كنديد أو التفاؤل» الذي ملأ صيتُه الأجواء، وكان فولتير حين وضع هذا الكتاب في الرابعة والستين من سِنِيه، وقد نُشر في جنيف سنة ١٧٥٩ خاليًا من اسم المؤلِّف والناشر، ولم يقُل فولتير أين وضع الكتاب ولا متى كتَبَه، وقد أُظهِر للناس مترجمًا عن الأنانية بقلم الدكتور رَالْف!...

وقد انتشر كتاب «كنديد» بسرعة هائلة، وأُعِيد طبعه باستمرار، حتّى إنّه وُجد له ثلاثَ عشرةَ طبعة مؤرّخة في سنة ١٧٥٩، ولم يقتصر صيت الكتاب على فرنسة، بل عمَّ أرجاء الدنيا، وتُرجِم إلى أرقى لغات العالَم مرّاتٍ كثيرة.

Twitter: @ketab_n

وكان يسود العصر الذي ظهر فيه فولتير مبدأُ التفاؤل القائل «إنّ كلّ شيءٍ هو أحسنُ ما يكون في أحسن ما يمكن من العوالم»، وكان فليسوف ألمانية الشهير ليبِنتْز يحمل لواء هذا المذهب، وما كان يقع في العالم من مصائب وما يَحُلّ به من كوارث لا يجعل فيلسوفًا مفكّرًا مثل فولتير يقول بهذا الرأى، وممّا حدث أن أُصيبت أَشبُونة[1] في سنة ١٧٥٥ بزلزالٍ هائلٍ جعل عاليَها سافلَها، وأن اشتعلتْ حربُ السنين السبع في سنة ١٧٥٦ فأوْدَت بحياة عشرات الألوف من الناس، فهذان الحادثان وما إليهما هزّت جميع الافتراضات التفاؤلية هَزًّا عنيفًا فأتاحت لفولتير فرصة الحَمْلة على مذهب التفاؤل بلا هَوَادة فقال في كتاب «كنديد» كلمته وأذاع موعظته.

وفي كتاب «كنديد» جعل فولتير بنغلُوس بطل التفاؤل وجعل مارتنَ بطلَ التشاؤم، وما يُعارِض به فولتير تشاؤم مارتن وتفاؤل بنغلوس هو ما يعارِض به اللاهوتَ النصراني وتفاؤُلَ ليبنتْزَ الرواقى، وفي كتاب «كنديد» يجوب فولتير معظم أقطار العالم فيتجلّي اكتئابه النفسي حِيَال ما ينطوي عليه تاريخ العالَم من حروب وفظائع ومصائب ونوازل وأعمالٍ تُشَابِه ما يصدر عن المجانين.

وكاد فولتير يقضي بكتاب «كنديد» على مبدأ التفاؤل في العالم، فيه يَهدِم التفاؤل المطلق، وهو من أعظم كتب العالم حَملَة على

---

(١) هذا هو اختيار المترجم لاسم مدينة لشبونة البرتغالية ويبدو أنّه كان استخدامًا للاسم العربي القديم للمدينة «الأشبونة» مع حذف «ال»، وقد أبقينا عليه ـ مع الإشارة ـ حرصًا على النصّ الأصلي للمترجم، وسنتّبع هذا في كافة أسماء البلدان الواردة في الكتاب (الناشر).

Twitter: @ketab_n

هذا التفاؤل إن لم يكن أعظمَها، وكتاب «كنديد» مملوءٌ سُخرية وإبداعًا، ولا عجب، فالقلم بيد فولتير يجري ويضحك كما قال أناتول فرانس، وفي كتاب «كنديد» ترى فولتير أكثر الكتاب دُعابة مع بُعدِ غَورٍ في المقصد، ولا غَرْوَ، ففولتير في كتابه «كنديد» أعظم مَن يقوم بهذا الغرض.

وكتاب «كنديد» مؤلّف من جزأين[1]، فأمّا الجزء الأول فيوجد إجماعٌ على أنّه وُضع بقلم فولتير، وأمّا الجزء الثاني فقد ذهب كثير من النقّاد إلى أنّه من وَضْع كاتب آخر، ولذا يُرى اقتصار بعض الطبَعات وبعض الترجمات على الجزء الأول منه كما يرى اشتمال طبَعات أخرى وبعض ترجمات على الجزأين معًا، وذلك مع إشارة قسمٍ منها إلى هذا الأمر، ومهما يكن من أمر، فإنّ الجزء الثاني وُضع على نحو الجزء الأول وروحه، ولا يكاد الناقد النفّاذ يلمس فرقًا بينهما، وكيف يدرك هذا والجزء الثاني ينمّ على براعة ولباقة كالأوّل، وقد حفزَنا هذا إلى ترجمة الجزء الثاني أيضًا إتمامًا للفائدة وإمتاعًا للقارئ العربي.

وإذا سألت عن مذهب فولتير السياسي واعتقاده الديني، أجبت بأنّ فولتير يقتصر، مثل مونتسكيو، على المطالبة بالإصلاح السياسي والديني وتَلْم شوكة الاستبداد، وهما في هذا على خلاف

(١) ننشر في هذه الطبعة الجزء الأول من ترجمة الأستاذ عادل زعيتر والذي يضمّ رواية فولتير دون الجزء الثاني المشار إليه هنا، لكنّنا فضّلنا الإبقاء على مقدمة المترجم الكبير كما هي (الناشر).

Twitter: @ketab_n

جان جاك روسّو الذي كان ينادي بضرورة تجديد الدولة والمجتمع تجديدًا كليًّا، وكان كلٌّ من فولتير ومونتسكيو راضيًا بالمجتمع الذي يعيش فيه، فلا يرغب في قلبه وإنّما يطلب الإصلاح، وكلاهما فُتِن بالدستور الإنكليزى، ولا سيّما تسامح الإنكليز الديني، وكان الدِّين أظهر ما عُنِي به فولتير وإن بحث في السياسة، وكانت السياسة أظهر ما عُنِي به مونتسكيو وإن بحث في الدِّين، وكلاهما ناهض عدمَ التسامح في جميع وجوهه كما ناهضا الاضطهاد والتفتيش والحروب الدينية، وطالب فولتير بإلغاء امتيازات الإكليروس، وطالب مونتسكيو بأن تكفَّ الكنيسة عن ظلم مخالفيها ومنكريها وبأن يكون الإكليروس أقلّ ثراء وسلطانًا.

حقًّا كانت فرنسة في عهد لويس الرابع عشر وعهد لويس الخامس عشر خاضعة لكنيسة متعصبة غير متسامحة ولمَلَكية مستبدّة، فلم تذُق طعم الحرية الدينية ولا طعم الحرية السياسية، فلم يُطِق الناس هذا الوضع، فظهرت في أوائل القرن الثامن عشر روح تذمُّر شديدٍ بين المثقّفين ضدّ الكنيسة والملكية، ولكن مع تعذُّر الجهر بالحملة على الدين والنظام القائم، وكان فولتير على رأس المتذمّرين، فلمّا عاد من إنكلترة بثّ كثيرًا من الانتقاد للدين والملكية في رواياته وتواريخه وقاموسه الفلسفي ورسائله، ولم ينفكَّ عن جهاده في هذا السبيل حتّى وفاته، وهو لم يحاول بهذا تأسيس نظام سياسي أو إقامة مذهب ديني، بل كان يريد الإصلاح ما استطاع، وإن كان من القائلين بالدّين الطبيعي مع إنكار الوحى،

Twitter: @ketab_n

وهو قد عُدّ بهذا هادمًا للنصرانية عدوًّا لها، ولا يعني هذا أنّه أراد إلغاء الدين، وإنما أراد دينًا بلا أسرار ولا رموز فيقتصر إكليروسه على تعليم الأخلاق، وعنده أنّ على الأمير أن يكون من تلاميذ الفلاسفة، فقد قال: «لا نقصد إشعالَ ثورةٍ كما في زمن لُوثر، ولكن نقصدُ إحداث ثورةٍ في نفوس مَن يقومون بالحُكم».

ويبلغ فولتير الثالثة والثمانين من سِنيه، ويعزم على السفر إلى باريس بعد أن كان العَود إليها حرامًا عليه في القسم الأخير من عهد لويس الخامس عشر، فلمّا جلس لويس السادس عشر على العرش مُهِّدت له سبيل دخولها، فقصد باريس وحضر تمثيل روايته إيرين، فلاقى أثناء سفره إلى العاصمة وإقامته بها، من الإجلال والتعظيم ما يفوق الوصف، ويمرض بباريس ويُتوفَّى فيها بعد أن لبث بها ثلاثة أشهر في هذه المرة، وتحظر السلطة على الصحف أن تتكلّم عن وفاته، ويرفض الإكليروس أن يُدفَن في قبر ويُهدِّد برمي جثمانه في مَطرَح القمامة بَيدَ أنّ أهله يتمكّنون من دفنه في سِلييرَ بِشَنْبانيه، ثم تشتعل الثورة الفرنسية فيُنقَلُ رفات هذا العظيم في سنة ١٧٩١ إلى مدفن العظماء «البانتيون» بباريس.

نابلس
عادل زعتير

Twitter: @ketab_n

الفصل الأول
كيف نُشِئَ كنديد في قصرٍ جميلٍ وطُرِدَ منه

كان يقيم بقصر السيد البارون ثَندِرتِن ترُنْك في فِستِفَالْية غلامٌ حبَته الطبيعة أكثر السجايا دَماثة، وكانت سيماه تدلُّ على روحه، وكان على شيء من إصابة الرأي مع أبسط ما يمكن من نفس، وأظنّ أنّ هذا سبب تسميته كنديد، وكانت تساور الخَدَمَ القدماء في المنزل شُبهةٌ في كونه ابنًا لأخت السيد البارون ولرجل صالح شريف من الجِوار، ولم ترغب هذه الآنسة في الزواج به قطّ؛ لأنّه لم يستطع أن يُثبتَ غير واحد وسبعين جيلًا من أجيال الشرف لضياع بقيةِ شجرة نسبه بتلفٍ من الزمن.

وكان السيد البارون من أقوى سِنيورات فستفالية؛ لأنّ لقصره بابًا ونوافذ، ولأنّ بَهْوَه الكبير مزيّن بطنافس أيضًا، وكان يتألّف من كلاب حظائره سِربٌ للصيد عند الحاجة، وكان سُوّاسُه مكَلِّبيه[1]

(١) المكلّب: معلّم الكلب الصيد.

Twitter: @ketab_n

وكان قَسُّ القرية كاهنَه الأكبر، وكان الجميع يدعونه «مولانا» فيضحكون من قِصصه.

وكانت السيدة البارونة، التي تزنُ من الأرطال نحوَ ثلاثمِئة وخمسين، تُوجب لنفسها احترامًا كبيرًا بهذا، وما كانت تقوم به من إكرام للزائرين يجعلها موضعَ أعظم تبجيل أيضًا، وكانت ابنتها كُونيغُوندَ، البالغة من العمر سبعَ عشرةَ سنة، مشربة بحمرة ناضرة بادنةً فاتنة، وكان ابن البارون يبدو سرَّ أبيه، وكان المُعلّم بنغلُوس وَحيَ البيت، فيستمع كنديد الصغير لدروسه بكلّ ما ينطوي عليه سنُّه وطبعه من سذَاجة.

وكان بنغلوس يعلّم ما بعد الطبيعة وعلم اللّاهوت وعلم الهيئة، فيثبت، بما يُثير العَجَب، أنّه لا معلول بلا علّة، وأن قصر مولانا البارون أجمل القصور في هذا العالم الذي هو أحسن ما يُمكن من العوالم، وأنّ السيدة أصلح بارونة يُمكن أن تكون.

وكان يقول: «لقد ثَبَت أنّ الأشياء لا يمكن أن تكون غير ما هي عليه، وذلك لأنّ كلّ شيء إذْ صُنِع لغايةٍ كان كلّ شيء لأصلح غاية بحكم الضرورة، فلاحظوا أنّ الأنوف صُنِعت لوضع نظّارات، ولذا فإنّ لدينا نظّارات، وأنّ السيقان صُنعت لتُسروَل ولذا فإن لدينا سراويل، وأن الحجارة خُلِقت لتُنحَت وتُبنى بها قصورٌ، ولذا فإنّ لمولانا قصرًا رائعًا جدًّا، ولا عجب، فيجب أن يكون بارون الإقليم الأكبرُ أحسنَ الناس منزلًا، وبما أنّ الخنازير خُلقت لتُؤكَل فإنّنا نأكل لحم خنزير في جميع السنة، ومن ثمّ كان من الهُراء زعم مَن قال إنّ كلّ شيء حَسن، فيجب أن يقول إنّه على أحسن ما يكون».

Twitter: @ketab_n

وكان كنديد يستمع مُنتبِهًا، وكان يصدِّق مع السذاجة، وذلك لأنّه يجد الآنسة كونيغوند جميلةً إلى الغاية وإن لم يكن من الجرأة ما يبوح لها بذلك، وكان يحكم بأنّ أُولى درجات السعادة هي أن يُولَد الإنسان بارون ثَندِرْتن ترُنك، وبأنّ ثانية درجات السعادة هي أن يكون الإنسانُ الآنسةَ كونيغوند، وبأنّ درجتها الثالثة أن يراها كلّ يوم، وبأنّ درجتها الرابعة أن يستمع للمعلّم بنغلوس الذي هو فيلسوف الإقليم الأعظم، ومن ثمّ أعظم فلاسفة الأرض طرًّا.

وبَينَا كانت كونيغوند تتنزّه، ذات يوم، بالقرب من القصر، في الغابة الصغيرة المسمّاة حديقة، أبصرت الدكتور بنغلوس وهو يؤدّي بين الدَّغل[1] درسًا في الفيزياء التجريبية إلى خادمة أمّها، إلى هذه الخادمة الصغيرة السمراء المِذعان[2] البالغة الظَّرف، وإذ إنّ الآنسة كونيغوند ذات مَيلٍ كثير إلى العلوم فإنّها لاحظت، من غير أن تنطق بكلمة ما شاهدته من تجارب مكرَّرة، ورأت بوضوح ما عند الدكتور من سببٍ كافٍ، كما رأت المعلولات والعلل، وانصرفت مضطربة جدًّا، مفكّرة جدًّا، شديدة الرغبة في أن تكون عالمة، مبصرة إمكان كونها سببًا كافيًا للشابّ كنديد الذي يمكنه أن يكون سببًا كافيًا لها أيضًا.

لاقت كنديد وهي راجعة إلى القصر فاحمرّ وجهها خجلًا كما احمرّ وجه كنديد، وقد تمنّت له نهارًا سعيدًا بصوت متهدِّج، وقد

(١) الدغل: الشّجر الكثيف الملتفّ.

(٢) المِذعان: السهل الانقياد.

Twitter: @ketab_n

كلّمها كنديد من غير أن يعرف ما قال، ولمّا كان الغد تناول الجميع الغداء وغادروا مائدة الطعام، وجد كنديد وكونيغوند نفسيهما وراء حاجز، فأسقطت كونيغوند منديلَها، فالتقطه كنديد، فتناولت يدَه بسلامة قلب، وقبّل الفتى يد الفتاة ببساطة مع نشاط ولُطف وظرْف خاصّ، وتلتقي شفاهُهما وتلتهب أعينها، وتصطكّ ركبهما، وتضِلّ أيديهما، ويمرّ السيد البارون ثَندِرتن تُرنك بجانب الحاجز، ويشاهد هذه العلّة وهذا المعلول فيطرد كنديد من القصر راكلًا إيّاه من الخلف بشدّة، ويُغمَى على كونيغوند، وتُفيق، وتَلطِمها السيدة البارونة، ويستحوذ ذعرٌ على الجميع في أجمل ما يُمكن أن يكون من القصور وأبهج ما يُمكن أن يُشاد منها.

Twitter: @ketab_n

الفصل الثاني
ما حدث لكنديد بين البُلغار

طُرد كنديد من فردوس الأرض فسار طويلًا على غير هُدًى باكيًا رافعًا عينيه إلى السماء محوِّلًا إيّاهما، في الغالب، نحو القصر الأروع المشتمل على أجمل بارونة صغيرة، وقد نام بين أخدودينِ في الحقول من غير أن يتناول العشاء، وقد كان الثلج يتساقط رُضابًا[1]، ويبدو كنديد في الغد مرتعد الفرائص بردًا فيجرّ نفسه إلى المدينة المجاورة المسمّاة فَلْدبِرغُوف ترَارْبك دِكْدُورْف صفرَ اليد ميِّتًا جوعًا وتعبًا ويقف حزينًا عند باب حانة، ويلاحظه رجلان لابسان ثيابًا زرقًا فيقول أحدهما للآخر: «ذاك شابّ، يا رفيقي، حسن التكوين مقبول القامة»، ويتقدّمان نحو كنديد ويدعوانه إلى الغداء بأدب جمّ، فيقول لهما بتواضع فتّان: «أي سيديَّ، إنّكما تبالغان في إكرامي، ولكن ليس عندي ما أدفع به حصّتي»، فيقول أحد اللابسينِ

(١) الرضاب: قطع الثلج.

Twitter: @ketab_n

ثيابًا زرقًا[1]: «آه، سيدي، إنّ مَن له مثلُ وجهك وفضلك لا يدفع شيئًا، ألا تبلغ قامتك خمس أقدام وخمسَ بوصات؟» ويقول مع حَنو رأسٍ: «أجل، أيّها السيدان، ذلكما قَوامي»، ويقولان: «آه، أيّها السيد، اجلس حول المائدة، لن نطيق وجود رجل مثلك يُعوِزه المال فضلًا عن أنّنا لا نكلفك بدفع شيء، فقد خُلق الناس ليتعاونوا»، ويقول كنديد: «الحقّ كما تقولان، وهذا الذي كان السيد بنغلوس يقوله لي دائمًا، وأرى كلّ شيء على أحسن ما يكون»، ويرجوان أن يَقبل منهما بعض الدراهم، فيأخذها، ويريد أن يُعطِي سندًا بذلك، فلا يُوافق على هذا مطلقًا، ويجلس الجميع حول المائدة، ويُسأل: «ألا تحبّ حبًّا رقيقًا» ويجيب: «وَي! أجل، أحبُ الآنسة كونيغوند حبًّا رقيقًا»، ويقول له أحد ذينك السيدين: «لا، إنّنا نسألك عن حبّك لملك البلغار حبًّا رقيقًا»، ويقول: «كلّا؛ لأنّني لم أره قطّ»، «ـ كيف! هو أكثر الملوك فتنة، فيجب أن يُشرب نخبه»، «ـ وي! سمعًا وطاعةً أيّها السيدان»، ويشرب، ويقال له: «كفى، أنت الآن سند البلغار وحاميهم وبطلهم، وقد نلت حظًّا وضمنت مجدًا»، وتُقيّد رجلاه بالحديد حالًا، ويُؤتى به إلى الكتيبة ويُؤمر بالالتفات يمينًا وشمالًا وبرفع المِدَكّ ووضعه وبتسديد البندقية وإطلاق النار ومضاعفة الخَطو، ويضرب بالعصا ثلاثين مرّةً، وفي الغد يتحسّن في التدريب

(١) تلك هي ثياب القائمين بأعمال التجنيد من البروسيين، وقد وضع كتاب «كنديد» أثناء حرب السنين السبع، والبلغار يمثّلون البروسيين والآبار يمثّلون الفرنسيين في كلّ ما يأتي، والآبار اسم قومٍ من السيت كالبلغار (م).

Twitter: @ketab_n

قليلًا فلا يتلقّى غير عشرين ضربة، ويتلقّى عشر ضربات فقط بعد يومين فيَعُدُّه رفقاؤه من الأعاجيب.

بُهت كنديد، ولم يكشف جيّدًا بعدُ كيف أنّه بطل، ويعِنّ في يوم من الربيع أن يتنزّه وأن يمضي قُدُمًا معتقدًا أنّ استخدام الإنسان لساقَيه كما يروقه امتيازٌ للنوع البشري كما هو امتيازٌ للنوع الحيواني، ولم يكد يسير فرسخين حتّى أدركه أربعة أبطال يبلغ طول الواحد منهم ستّ أقدام، فأوثقوه، وأتَوا به إلى سجن مظلم، ويُسأل قضائيًّا عن اختياره بين أن يُجلد ستًّا وثلاثين مرّة من قِبلِ كلّ جندي في الكتيبة وأن يتلقّى في دماغه اثنتي عشرة رصاصة دَفعة واحدة، وهو، على ما كان من احتجاجه بأنّ للنّاس إرادةً حرّةً فلا يريد هذا ولا ذاك، لا بُدّ من الاختيار، فأراد، بما أنعم الربُّ عليه من حريّة كما تُسمّى، معاناة السياط ستًّا وثلاثين مرّة، ولم يحتمل غير جولتينِ، وكانت الكتيبة مؤلّفة من ألفَي رجل. فأصابته بأربعة آلاف جلدة أسفرت عن كشف عضله وعصبه فيما بين نُقرَته[1] ومقعده، وبما أنّه عاد لا يُطيق أكثر من ذلك، وبما أنّهم كادوا يبدءون بالجولة الثالثة، التمس ضارعًا أن يُحسَن إليه بتحطيم رأسه، فنال هذا اللطف، وتُعَصَّب عيناه ويُقعَد على ركبتيه، ويمرّ ملك البُلغار في تلك الدقيقة ويَسأل عن جناية المحكوم عليه بالموت، ويدرك الملك، بما فُطِر عليه من عبقرية عظيمة، وبما علم عن كنديد، أنّه فتى من علماء ما بعد الطبيعة جاهلٌ كلّ الجهل لأمور هذه الدنيا، فيعفو عنه برأفة تُحمد له في

(١) النقرة: الثقب في مؤخر العنق.

Twitter: @ketab_n

جميع الصحف وعلى مرّ القرون، ويُشفى كنديد في ثلاثة أسابيع على يد جراح جريء استعمل ما نصّ عليه ذيسقوريذس من مراهم، ويكتسي قليل جلدٍ، ويستطيع المشي في وقت سار فيه ملك البلغار لمقاتلة ملك الآبار.

Twitter: @ketab_n

الفصل الثالث
كيف نجا كنديد من البُلغار وما وقع له

لم يكن مثلَ الجيشين شيء روعة ونشاطًا وبهاءً وحُسن تنظيم، وكان يتألّف من الأبواق والمزامير والنايات والطبول والمدافع انسجامٌ لم يوجد له نظير في جهنّم، وأول ما صنعته المدافع هو أنها صَرَعت نحو ستّة آلاف رجل من كلّ جانب، ثم قضى إطلاق البنادق على ما بين تسعة آلاف وغد وعشرة آلاف وغد من أصلح العوالم كانوا يفسدون وجهه، وكانت الحِراب سببًا كافيًا لهلاك بضعة آلاف من الناس، ويمكن تقدير جميع ذلك بثلاثين ألفًا من النفوس، ويرتجف كنديد، مثل فيلسوف، فيختفي ما استطاع في أثناء هذا المجزِر البَطَلي.

وأخيرًا بينا كان كلٌّ من الملِكين يأمر بأن تُرتَّل تسبحَة الشكر في معسكره عَزَم كنديد على الذهاب إلى مكان آخر لينظر في المعلولات والعلل، ويَمُرُّ على أكداس القتلى والمحتضرين، ويبلغ في بَدء الأمر قرية مجاورة تحوّلت إلى رماد، وهذه قرية آباريّة

Twitter: @ketab_n

حرّقها البلغار وفق قوانين الحقّ العام، وهنا شيوخ أُمعِن في ضربهم فينظرون إلى نسائهم اللائي ذُبِحن ممسكاتٍ أولادهنّ عند ثدِيِّهن الدامية، وهناك فتيات مبقورات البطون يَلفِظن أنفاسَهن الأخيرة بعد أن قَضَى بعض الأبطال أوطارهم الطبيعية منهنّ، وهنالك أخريات نصفُ مُحرَّقات يصرخن للإجهاز عليهن، وتوجد أدمغة منثورة على الأرض بجانب ذرعان مقطّعةٍ وسيقان مبتورة.

ويفرُّ كنديد إلى قرية أخرى بأسرع ما يمكن، وهذه قرية من أملاك البلغار عاملها أبطال الآبار بمثل ما عامل به البلغارُ تلك القرية، ويمشي كنديد، دائمًا، على أشلاءٍ مرتجّة، أو من بين أنقاض، وأخيرًا ينتهي إلى ما وراء ساحة الحرب حاملًا قليلًا من الزاد في خرجه غير ناسٍ الآنسة كونيغوند مطلقًا، وتُعوِزه المِيرَة حين وصوله إلى هولندة، ولكن بما أنّه سمع قولًا عن كون جميع الناس أغنياء نصارى في هذا البلد لم يشُكّ في أنه سيلقى حسن معاملة منهم كما عومل في قصر البارون قبل أن يطرد منه في سبيل عيني الآنسة كونيغوند الجميلتين.

ويسأل كثيرًا من ذوي الرَّصانة أن يعطوه صدقة فيجمعون على الجواب بأنّه إذا داوم على هذه الحرفة حُبِس في دار للإصلاح يُعلَّم فيها كيف يعيش.

ثم يقصِد رجلًا تكلّم ساعةً كاملة عن الإحسان في مجلس كبير، وينظر هذا الخطيب إليه شزرًا ويقول له: «لِمَ أتيت إلى هنا؟ ألغَرَض

Twitter: @ketab_n

صالح؟»، ويجيب كنديد بقوله متواضعًا: «لا معلول بلا علّة، وكلّ متسلسل بحكم الضرورة مُنظَّم على أحسن ما يمكن، وكان لا بدّ من طردي من عند الآنسة كُونيغُوند، وكان لا بدّ من جَلْدِي ومن طلب خبزي حتّى أقدر على كسبه، وما كان هذا كلّه ليقع على وجه آخر»، ويقول الخطيب له: «أتعتقد، يا صاحبي، أنّ البابا عدوّ المسيح؟»، ويجيب كنديد بقوله: «لم أسمع بهذا قبل الآن، وسواء أكان البابا هكذا أم لم يكن فإنّ القوت يُعوِزني»، ويقول الخطيب: «أنت لا تستحقّ أن تأكل منه، فاذهب أيّها الوغد، اذهب أيّها المسكين، ولا تدنُ منّي أبدًا» وتُخرِج امرأة الخطيب رأسها من النافذة، وتقول إذ ترى رجلًا لا يعتقد أنّ البابا عدوّ المسيح: «يا ربّ! يا غيرة النساء البالغة على الدِّين!».

ويرى رجل لم يُعمّد قطّ، رجل تعميدي صالح، رجل اسمه جاك، سوءَ ما عومل به أحد إخوانه، قسوة ما عومل به مخلوق ذو رجلين، ذُلّ ما عومل به موجود بلا ريش، إنسان ذو روح، فيأتى به إلى بيته وينظّفه، ويعطيه خبزًا وجعَة ويقدّم إليه فلورينين، ويريد أيضًا، أن يعلّمه العمل في مصانعه الهولندية التي تصنع فيها نسائج فارسيّة، ويسجد كنديد أمامه تقريبًا ويقول بصوت عالٍ: «أصاب المعلم بنغلوس في قوله لي إنّ كلّ شيء في هذا العالم يسير على أحسن ما يكون، فما لاقيت من كرمك المتناهي كان له من الأثر البالغ في نفسي ما هو أعظم من قسوة ذلك السيد ذي الحُلّة السوداء وقسوة السيدة زوجته».

Twitter: @ketab_n

وبينما كان يتنزّه في الغد لاقى سائلًا مستورًا ببُثُور مُطفأ العينين مقرّض الأرنبة[1] مُعوَجّ الفم أسود الأسنان أبحَّ الصوت، وكان هذا المسكين يألم من سعال شديد، فيبصق في كلّ سَعلَة سنًّا.

(١) الأرنبة: طرف الأنف.

Twitter: @ketab_n

الفصل الرابع
كيف لاقى كنديد معلّمه القديم في الفلسفة: الدكتور بنغلوس وما وقع له

هزّت الشفقة كنديد أكثرَ من أن تهُزَّه النّفْرَة فأعطى هذا السائلَ الهائل ذينك الفلورينَين اللذين قد أخذهما من التعميدي الصالح: جاك، ويُصوِّب هذا الهزيل نظره إليه ويسكُب عبرات، ويعانقه، فيتراجع كنديد مذعورًا.

قال البائس للبائس الآخر: «واهًا! أَعُدتَ لا تعرف بنغلوسك العزيز؟»، «ـ ماذا أسمع؟ أنت معلّمي العزيز! أنت في هذه الحال الفظيعة! أيُّ بلاءٍ ألمَّ بك إذن؟ ما السبب في أنك عدتَ لا تكون في أجمل القصور؟ ما خبر الآنسة كونيغوند التي هي درّة الفتيات طرفة الطبيعة؟»، فقال بنغلوس: «أنا منهوك»، فأخذه كنديد من فوره على مِراح التعميدي حيث أكل قليل خبز، ولما صحّ بنغلوس قال له كنديد: «خيرًا ! كونيغوند؟»، فقال بنغلوس: «لقد ماتت»، ويُغمَى على كنديد عند سماع هذه الكلمة فيعيد صديقه إليه وعيه بقليل

Twitter: @ketab_n

من الخلِّ الرديء الذي وجد في المرَاح عَرَضًا، ويفتح كنديد عينيه ويقول: «ماتت كونيغوند! آه! أين أنتِ يا خير الناس؟ ولكن بأيّ مرض ماتت؟ ألأنّها رأتني أُطرد بضربات الرجل من القصر الجميل الذي يملكه أبوها السيّد؟» فقال بنغلوس: «كلّا، بل بقر بطنَها جنودٌ من البُلغار بعد أن اغتصبوها ما استطاعوا وكسروا رأس السيّد البارون الذي أراد الدفاع عنها، وقطّعوا السيدة البارونة إرْبًا إرْبًا، وصُنع بتلميذي المسكين كما صُنع بأخته، وأمّا القصر فلم يبقَ منه حجر على حجر، ولم يبق نِبْر[1] ولا ضأن ولا بطّ ولا شجر، غير أنّه انتقم لنا، فقد أصاب الآبارُ بمثل ذلك السوء بارونيّةً مجاورة يملكها سنيور بلغاري».

ويسمع كنديد هذا الكلام فيُغمى عليه أيضًا، ويعود إليه وعيه، ويقول كلّ ما يجب أن يقول، ويبحث عن العلّة والمعلول وعن السبب الكافي الذي نزل به بنغلوس إلى مثل تلك الحال المبكية كثيرًا، فيقول بنغلوس: «آه! ذلك هو الحبّ، الحبّ المفرج لكرب الجنس البشري والحافظ للكون، الحبّ الناعم الذي هو روح جميع الموجودات الحاسّة»، ويقول كنديد: «يا حسرتا! عرفت هذا الحبّ، هذا المسيطر على القلوب، هذا الروح لروحنا، هذا الذي لم يأتني بغير قُبلةٍ وعشرين ركلة على استي، فكيف أدّت هذه العلّة الرائعة إلى هذا المعلول المرذول بهذا المقدار؟».

ويجيبه بنغلوس بهذه الكلمات: «أي كنديدي العزيز! أنت تذكر

(١) النِبر: البيت الذي تنضد فيه الغلال والمتاع.

Twitter: @ketab_n

باكتّ، هذه الخادمة الحسناء لدى بارونتنا المبجّلة، فقد ذقت بين ذراعيها ملاذ الجنة التي أدّت إلى ما يفترسني من آلام الجحيم كما ترى، وقد كانت مصابة بها ومن المحتمل أن ماتت بها، وقد نالت باكت هذه الهدية من راهب علّامة أتى بها من منبعها، وذلك أنّها انتقلت إليه من كُونتسةٍ عجوز كانت قد أخذتها من قائد فرسان مدين بها لمركيزة تَلقَّتها من خادم أمير ساوُنها من يسُوعي حديث عهد بالرهبانية فانتهت إليه من أحد أصحاب كرستُوف كولنبس توًّا، وأمّا أنا فلن أُنعم بها على أحد لأنني أقضي نحبي».

كنديد صارخًا: «أي بنغلوس! تلك سلسلة نسب غريبة! ألم يكن الشيطان أصلًا لها؟»

الرجل الكبير مجيبًا: «كلّا، هذا أمر لازم في أصلح العالمينَ، هذا عنصر ضروري، فلو لم يُصَب صاحب كولنبس بهذا الداء في جزيرة بأمريكة، بهذا المرض الذي يفسد أصل النسل، بهذا الوصب الذي يعوق النسل في الغالب، بهذا العياء المخالف لغرض الطبيعة كما هو واضح، ما كانت عندنا شكولاته ولا دودة قرمز، وممّا يلاحظ أيضًا كون هذا المرض في قارتنا لا يزال خاصًّا بنا كالجَدَل، فلمّا يعرفه الترك والهنود والفرس والصينيون والسياميون واليابانيون، ولكنّه يوجد سبب يكفي لمعرفتهم إيّاه بدورهم في بضعة قرون، وريثما يقع ذلك نقول إنّه تقدّم تقدُّمًا عجيبًا بيننا، ولا سيّما في تلك الجيوش العظيمة المؤلّفة من مرتزقة صالحين حَسَني التنشئة يقرِّرون مصير الدول، فيمكن أن يقال مع التوكيد إنّه إذا ما اصطفّ

Twitter: @ketab_n

ثلاثون ألف مقاتل لخوض معركة وكان يقابلهم من الكتائب ما يشتمل على مثل هذا العدد من المقاتلة وُجد في كلّ من الفريقين نحو عشرين ألف مصاب بالزهري».

ويقول كنديد: «هذا أمر عجيب، ولكن يجب أن تُشفى»، ويقول بنغلوس: «كيف أقدر على ذلك؟ إنّني لا أملك فلسًا يا صديقي، ولا يتمّ فصدٌ، ولا حقن، لإنسان في جميع هذه الدنيا من غير أن يدفع مالًا أو من غير أن يوجد من يدفع عنه مالًا».

وتحتّ هذه الكلمة كنديد، فيذهب ويرتمي على قدمي التعميدي المحسن إليه: جاك، ويصف له ما صار إليه صديقه من حال وصفًا مؤثّرًا جدًّا، فلم يتردّد هذا الرجل الطيب في إيواء الدكتور بنغلوس، ويشفيه على نفقته، ولم يفقد بنغلوس في هذه المعالجة غير عينٍ وغير أذنٍ، وكان بنغلوس حسن الخطّ، تامّ المعرفة بالحساب، فعيَّنه التعميدي، جاك، ممسكًا لدفاتره، ويمضي شهران فيضطّر جاك إلى الذهاب إلى أَشبُونة من أجل أعماله التجارية ويأخذ معه فيلسوفَيه في السفينة، ويفضِّل له بنغلوس كيف أنّ كلّ شيءٍ جُعل على أحسن ما يكون، ولم يكن جاك على هذا الرأى، فقال: «لا بدّ من أن يكون الناس قد أفسدوا الطبيعة قليلًا، وذلك لأنّهم لم يولدوا ذئابًا، فصاروا ذئابًا، ولم يعطهم الربّ مدافع من عيار أربع وعشرين، ولم يعطهم الربّ حرابًا، فصنعوا مدافع وحرابًا ليبيد بعضهم بعضًا، وأستطيع أن أشير إلى الإفلاسات وإلى القضاء الذي يقبض على أموال المفلسين ليُحرَمَه الدائنون»، فأجابه الدكتور الأعور بقوله:

Twitter: @ketab_n

«كان جميع هذا ضروريًّا، فعن المصائب الخاصّة ينشأ الخير العام، وإن شئت فقل إنّ المصائب الخاصّة كلّما زادت تحسّن كلُّ شيء». وبينا كان يُبرهن، أَظلَم الهواء وهبّت الرياح من جهات العالم الأربع، فهوجمت السفينة بأفظع عاصفة إزاءَ ميناء أشبُونة.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

الفصل الخامس
عاصفة وغرق وزلزلة وما وقع للدكتور بنغلوس وكنديد والتعميدى؛ جاك

لم يكن عند نصف المسافرين الخائرين من القوّة ما يجزعون معه حتّى مِن الخطر، وذلك لما حدث لهم من إغماء بسبب هذه الغموم التي أصاب ترنُّح السفينة بها الأعصاب وجميع أمزجة الأبدان فهُزّت على وجوه مختلفة، وأمّا النصف الآخر فكان يصلّي ويستغيث، وقد مُزّقت الأشرعة وكُسرت الصواري وخُرقت السفينة، وقد كان يعمل من يستطيع العمل، ولا يرى مَن يتفاهم ولا مَن يقود، وقد كان التعميدي على ظهر المركب، فيساعد قليلًا على الإدارة، ويضربه ملَّاح غضبان ضربًا شديدًا ويطرحه على الألواح، ويصاب هذا النوتيُّ برجفة عنيفة فيسقط بها خارج السفينة، ويكون رأسه أول ما يسقط، ويظلّ معلّقًا متعلِّقًا في قسم من الصاري المُحطَّم، ويهرع جاك الصالح إلى مساعدته ويعينه على الصعود، وكان من الجُهد الذي بَذل أن تدهور في البحر على مرأى من البحّار الذي تركه يَهلِك من غير أن يتفضّل حتّى بالنظر إليه، ويدنو كنديد ويبصر

Twitter: @ketab_n

المحسن إليه الذي ظهر ثانية، والذي ابتلعه اليمُّ إلى الأبد ويريد أن يُلقيَ نفسه في البحر وراءه، ويمنعه الفيلسوف بنغلوس من هذا مثبتًا له أنّ خليج أشبُونة كُوِّن تكوينًا خاصًّا ليغرق فيه ذاك التعميدي، وبينا كان يبرهن على هذا الأمر «البديهي» انشقت السفينة فهلك الجميع خلا بنغلوس وكنديد وذاك النوتيّ الجافي الذي أوجب غرق التعميدي الفاضل، ويوفّق هذا اللئيم للسباحة حتّى الساحل الذي حمل إليه بنغلوس وكنديد على لَوحٍ.

ويعود إليهما بعض الصحو فيسيران نحو أشبُونة، وقد بقي عندهما من الدراهم القليلة ما كانا يرجوان معه أن ينجُوا من الجوع بعد أن سلِما من العاصفة.

ولم تكد أقدامهما تطأ مدينة أشبُونة باكيَينِ ذلك المنعمَ عليهما حتّى شعرا بزلزلة[1] تحت خطواتهما، ويرتفع البحر فائرًا من الميناء ويحطّم المراكب الراسية، وتغطّي الشوارع والميادين العامّة زوابعُ من اللّهب والرماد، وتنهار البيوت، وتسقط السُّقُف على الأُسُس، وتُفرَّق الأسس، وينسحق تحت الأنقاض ثلاثون ألفَ ساكنٍ من كلّ سنٍّ وجنس، ويقول الملّاح وهو يَصفِر مقسمًا: «يوجد ما يُلتقط هنا»، ويقول بنغلوس: «ما يمكن أن يكون السبب الكافي لهذا الحادث؟» ويصرخ كنديد قائلًا: «هذا آخر أيام الدنيا!»، ويركض الملّاح من فوره بين الأنقاض، ويقتحم الموت بحثًا عن المال، ويجد مالًا ويقبض عليه، ويَثمَل، وينام مخمورًا، ويشتري،

(١) وقعت زلزلة أشبُونة في اليوم الأول من نوفمبر سنة ١٧٥٥ (م).

Twitter: @ketab_n

راضيًا، ألطاف أول فتاة يُلاقيها فوق أنقاض البيوت المهدومة وبين المحتضرين والموتى، ومع ذلك فقد جرّه بنغلوس من كمّه وقال له: «ليس هذا عملًا صالحًا يا صاحبي، وأراك غافلًا عن الحقّ العام مختارًا أسوأ الأوقات»، ويجيب الملّاح عن هذا بقوله: «يا لَلقرد، إنّي نوتيّ، وقد وُلدتُ في بَتَافيا، ودُستُ الصليب أربع مرّات[1] في رحلاتي الأربع إلى اليابان، فلست بالرجل الذي يبالي بحقّك العام!».

وجرح بعض الشظايا من الحجارة كنديد، فانبطح في الشارع، وستر بالأنقاض، فقال بنغلوس: «آه! أحضر قليل خمر وزيت، فأنا أموت»، فأجاب بنغلوس بقوله: «ليست هذه الزلزلة شيئًا جديدًا، فلقد عانت مدينة لِيمَا بأمريكة عين الهزّات في العام الماضي، وتنشأ ذات المعلولات عن ذات العلل، ولا ريب في وجود سلسلة من الكبريت تحت الأرض بين ليما وأشبُونة»، ويقول كنديد: «لا شيء أكثر احتمالًا من هذا، ولكن بالله عليك أن تُحضر لي قليل زيت وخمر»، ويجيب الفيلسوف قائلًا: «ما تعني بقولك محتمل؟ فالأمر ثابت عندي»، ويفقد كنديد شعوره، ويأتيه بنغلوس بماء قليل من عين قريبة.

ويجدان في الغَد بعض الزاد بانسيابهما بين الأنقاض فيُقوّمان به

(١) كان اليابانيّون يحملون مواطنيهم الذين يخدمون لدى الهولنديين ببتافيا على دوس الصليب ليثبتوا أنّهم على دين سادتهم، فجعل فولتير هذا شاملًا للهولنديين أيضًا (م).

Twitter: @ketab_n

بعض أَوَدهما، ثم يعملان كالآخرين في الترويح عن الأهلين الذين نجوا من الموت، وممّا حدث أنّ بعض المواطنين الذين أعاناهم قدّموا إليهما غداء يُعدّ أحسن ما يمكن في مثل هذه النكبة، أجل، كان الطعام كثيبًا ما كان الضيوف يُبلِّلون خبزهم بدموعهم، بيد أنّ بنغلوس ألقى سلوانًا في نفوسهم عندما ذكر لهم مؤكدًا أنّ الأمور لم تكن لتحدث على غير ما تمّ، وقد قال لهم: «وذلك لأنّ جميع ما حدث هو أحسن ما يكون، وذلك لأنّه وجَد بركان في أشبُونة لم يمكن أن يكون في مكان آخر، وذلك لأنّ من المُحال أن تقع الأمور في مكان غير الذي وقعت فيه، وذلك لأنّ كلّ شيء حسن».

ووُجد بجانبه رجلٌ أسودُ قصير موظَّف لدى محكمة التفتيش، فتناول هذا الرجل الكلام وقال بأدب: «يظهر أنّ هذا السيّد لا يؤمن بالخطيئة الأصلية، فإذا كان كلّ شيء على أحسن ما يكون لم تكن هنالك زلّة ولا جزاء».

ويجيب بنغلوس بأدبٍ أعظمَ من ذلك إذ يقول: «أطلب عفوك متواضعًا يا صاحب السعادة وأقول إنّ زلّة الإنسان واللعنة تدخُلان ضمن أحسن العالمين بحكم الضرورة»، ويقول الموظّف: «ألا تعتقد الإرادة أيّها السيّد؟»، ويقول بنغلوس: «عفوًا يا صاحب السعادة يمكن الإرادة أن تكون مع الوجوب المطلق، فمن الوجوب أن نكون ذوي اختيار وذلك لأنّ الإرادة المقدّرة...»، وبينا كان بنغلوس في وسط جملته أشار الموظّف برأسه إلى خادمه المسلَّح الذي كان يَصُبُّ له خمر بُورتو أو أُوبُورتو.

Twitter: @ketab_n

الفصل السّادس
كيف صدر حُكم تفتيشيّ رائع لمنع الزلازل وكيف جُلِد كنديد على أَلْيَيْه

لم يجد حكماء البلد، بعد الزلزلة التي قضت على ثلاثة أرباع أشبُونة، وسيلة أشدّ فعلًا لمنع وقوع خراب شامل من منح الأمة حكمًا تفتيشيًّا[1] رائعًا، فقد قضت جامعة قُلُمرِيَة بأنّ منظر أناسٍ قليلين يُحرَّقون بالنار في احتفال كبير ينطوي على سِرّ مضمون يمنع الأرض من الاهتزاز.

وكان قد قُبض على رجلٍ من بِسقاية ثَبَت تزوُّجه بشَبِينَته وعلى رجلين من البرتغال أكلا فرخة مع نزع شحمها، ويقيّد الدكتور بنغلوس وتلميذه كنديد بعد الغداء، ويُقيّد الأول لأنّه تكلّم، ويقيد الآخر لأنّه استمع له سماع استحسان، ويوضع الاثنان على انفراد في منزلين باردين إلى الغاية، في منزلين لم يُعنَتا بالشمس قطُّ، وتمضي ثمانية أيّام فيُلبَسان ثوبين بنِدِكتيين، ويُزيّن رأساهما بتاجينِ من ورق،

(١) كان هذا في ٢٠ من يونيه سنة ١٧٥٦ (م).

Twitter: @ketab_n

فأمّا تاج كنديد وثوبه فملوَّنان بلهبٍ مقلوب وبشياطين لا أذناب لها ولا مخالب، وأمّا شياطين بنغلوس فذوو مخالب وأذناب مع لهب مستقيم، ويسيران في موكب لابسين على هذا الوجه، ويستمعان لوعظ مؤثّر جدًّا تعقبه موسيقا كنسية جميلة، ويجلد كنديد على أَلْيَيه مع الإيقاع أثناء الإنشاد، ويُحرَّق البسقائي والرجلان اللذان لم يريدا أن يأكلا شحمًا، ويُشنق بنغلوس على خلاف العادة، وفي اليوم ذاته تُزلزل الأرض مجدّدًا مع صوت هائل.

ويقول كنديد في نفسه مذعورًا حائرًا مضطربًا داميًا مرتجفًا: «إذا كان هنا أحسن ما يمكن من العوالم فما تكون العوالم الأخرى؟ لأدعْ أمر جَلْدي على أَلْيَيَّ يمرّ، فلقد جُلدت عند البلغار، ولكن، يا أَسَفًا عليك أيّها العزيز بنغلوس، يا أعظم الفلاسفة! أَوَ كان يجب أن أراك مشنوقًا من غير أن أعرف السبب؟ يا أسفا عليك أيّها التعميديّ العزيز الذي هو أطيب الناس! أَوَ كان يجب أن تغرق في الميناء؟ يا أسفا عليك أيُّتها الآنسة كونيغوند التي هي درّة الفتيات! أَوَ كان يجب أن يُبقر بطنك؟».

انصرف ولم يكد يحمل نفسه، وكان مبشّرًا مضروبًا على أَلْيَيْه مغفورًا له مباركًا، وكان ذلك حينما دنت منه امرأة مُسنَّة وقالت له: «تشجَّع يا ولدي واتَّبعْني».

Twitter: @ketab_n

الفصل السابع
كيف عُنيت عجوز بكنديد
وكيف وجد مَن كان يحبّ

لم يتشجَّع كنديد قطّ، ولكنّه تبع العجوز إلى خِربة، فتعطيه وعاء مرهم ليَدْلُك نفسه، وتترك له ما يأكل ويشرب، وتريه فراشًا صغيرًا نظيفًا يوجد بجانبه ثوب كامل، وتقول له: «كل واشرب ونم، وكن في حِرز عذراء أُتوكا ومولانا القديس أنطوان البادُوِيّ ومولانا القديس جاك الكُنيُوستلِّيِّ، وسأعود غدًا»، ويستمرّ دهش كنديد من كلّ ما رأى وما قاسى، وأكثر من هذا دهشُه من إحسان العجوز، فيريد أن يقبّل يدها، فتقول: «ليست يدي هي التي يجب أن تقبّل، سأعود غدًا، ادْلُك نفسك بالمرهم وكُل ونَم».

أكل كنديد ونام مع جميع تلك المصائب، وفي الغد تأتيه العجوز بالفطور، وتكشف عن ظهره وتَدْلُكه بمرهم آخر، ثم تأتيه بالغداء، ثم ترجع إليه مساء جالبة العشاء له، ولمّا كان اليوم التالي قامت بذات الأعمال أيضًا، وما فتئ كنديد يسأل: «مَن أنت، مَن ذا الذي

Twitter: @ketab_n

ألهمك هذا الصلاح البالغ؟ أيّ شكرانٍ يمكنني أن أقابلك به؟»، ولا تجيب العجوز الصالحة عن ذلك بشيء، وتعود مساءً من غير أن تكون جالبة عشاء، وتقول له: «تعال معي، ولا تنطق بكلمة»، وتأخذه من ذراعه وتسير معه في الحقول المجاورة نحو ربع مَيل، ويصلان إلى منزل منعزل محاط بحدائق وقنوات، وتقرع العجوز بابًا صغيرًا، فيفتح، وتأتي بكنديد من سلّم سرّي إلى غرفة مذهّبة، وتتركه على متّكأ من ديباج وتغلق الباب وتنصرف، ويظنّ كنديد أنّه يحلم، وتتمثّل له حياته حُلمًا مزعجًا، ويرى الساعة الحاضرة حلمًا لذيذًا.

وتظهر العجوز من فورها مرّة أخرى، وكانت تسند بمشقة امـرأةً مرتعشةً مبرقعة ذات قامة رائعة وذات جواهر ساطعة، وتقول العجوز لكنديد: «ارفع هذا البرقع»، ويتقدّم الرجل الشابّ، ويرفع البرقع متهيّبًا، يا لَها من ساعة! يا لَها من مفاجأة! يظن أنّه يرى الآنسة كونيغوند، لقد رآها فعلًا، هي هي، وتخور قواه، ولم يستطع أن ينطق بكلمة، ويقع على قدميها، وتقع كونيغوند على المُتّكأ، وتُسعفها العجوز بسوائل روحية، ويعود إحساسهما إليهما، ويأخذان في الحديث، وأوّل ما صدر عنهما كلام متقطّع وأسئلة وأجوبة متداخلة وتنهّدات وعبرات وصيحات، وتوصيهما العجوز بأن يكونا أقلّ ضوضاء وتدعهما وحدهما، ويقول كنديد: «ماذا! أأنت؟ لا تزالين حيّة! أجدك في البرتغال! إذن، لم تُغتصبي! لم يُبقَر بطنك قطّ خلافًا لما رواه لي الفيلسوف بنغلوس مؤكِّدًا!»، وتقول

Twitter: @ketab_n

كونيغوند الحسناء: «أجل، لقد وقع ذلك، غير أنّ هذين الحادثين لا يفضيان إلى الموت في كلّ وقت»، «ـ ولكن، ألم يقتل أبوك وأمك؟»، وتقول كونيغوند باكية: «بلى، لقد قُتلا»، «ـ وأخوك؟»، «ـ لقد قتل أيضًا»، «ـ ولم أنت في البرتغال؟ وكيف علمت أنني في هذا البلد؟ وبأيّ مغامرة غريبة أَوْجَبْتِ سوقي إلى هذا المنزل؟» وتجيب السيدة: «سأقصّ عليك جميع هذا، ولكنّه يجب قبل أن أفعل هذا أن تنبئني بجميع ما وقع لك منذ القُبلة البريئة التي طبعتها عليّ وما تلقّيته من ركلات».

ويطيع كنديد مع احترام عميق، وعلى ما كان من اضطرابه، ومن ضعف وارتجاف في صوته. وعلى ما بقي من ألم في فقاره، فإنه قصّ عليها، بأبسط ما يمكن، جميع ما ابتلي به منذ افتراقهما، وترفع كونيغوند عينيها إلى السماء وتسكب عَبَرات حزنًا على موت التعميدي الصالح وعلى موت بنغلوس، ثم حدّثت بهذه العبارات كنديد الذي لم تفته أيّ كلمة والذي كان يلتهمها بعينيه.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

الفصل الثامن
قصة كونيغوند

«كنت في سريري، وكنت نائمة نومًا عميقًا عندما شاء الربّ أن يرسل البلغار إلى قصر ثَنِدرتِن ترُنك، إلى قصرنا الجميل هذا، فذبحوا أبي وأخي، وقطّعوا أمّي إرْبًا إرْبًا، ويبصر بلغاري، بالغ من الطول ستّ أقدام، أنّني فقدت صوابي عند هذا المنظر فأخذ يغتصبني فعاد إليّ بهذا صوابي، واستردتُ بهذا مشاعري، فصحت، وهجت، وعضضت، وخمشت، وأردت قلع عينَي هذا البلغاري الطويل غير عارفة بأنّ ما حدث في قصر أبي كان من العادة، ويطعنني هذا البهيميُّ في خاصرتي اليسرى بسكين طعنة لا يزال أثرها باديًا»، فيقول الساذج كنديد: «يا حسرتا! أرجو أن أرى هذا الأثر»، وتقول كونيغوند: «أجل، ستراه، ولكن، لنواصل الحديث»، ويقول كنديد: «واصلي».

فوصلت بين طرفي قصتها بما يأتي: «ويدخل قائد بلغارى، ويراني دامية، ولم يرتبك الجندي، ويغضب القائد من قلّة احترام

Twitter: @ketab_n

هذا البهيمي له، ويقتله على جسمي، ثم يأمر بضمد جرحي ويأتي بي إلى معسكره أسيرة حرب، وكنت أغسل ما عنده من قمصان قليلة وكنت أطبخ له، ويجدني جميلة جدًّا، ويجب أن يُسلَّم بهذا، ولا أنكر أنّه كان حسن القوام أبيض الإهاب ناعمه، فإذا عدوت هذا وجدته قليل الذكاء قليل الفلسفة، ومن الواضح أنّه لم ينشأ من قبل الدكتور بنغلوس، وتمضي ثلاثة أشهر فينفد جميع ماله، وتعافني نفسه، ويبيعني من يهودي اسمه دون إيساشار الذي كان يتاجر في هولندة والبرتغال ويحبّ النساء بولع، ويتعلّق هذا اليهودي كثيرًا فيَّ، ولكنّه لم يقدر على الفوز بي، فقد قاومته أكثر من مقاومتي الجندي البُلغاري، فقد تُغتصب المرأة الصالحة مرّة، ولكن فضيلتها تثبت بهذا، وقد أتى اليهودي بي إلى هذا المنزل الريفي الذي تراه ليتغلّب عليَّ، وقد كنت أعتقد، حتّى ذلك الحين، أنّه لا شيء على الأرض رائع كقصر ثندرتن ترنك، فزال وهمي.

«ويراني قاضي التفتيش الأكبر في القدّاس ذات يوم ويحدّق إليَّ كثيرًا، ويرسل مَن يبلّغني أنّه يريد أن يكلّمني في أمور سريّة، ويؤتى بي إلى قصره وأخبره عن أصلِي، ويقول إنّه لا يناسب مقامي مطلقًا أن أكون مِلك يهودي، ويقترح على دون إيساشار أن يتنَزّل عني لسيادته، ويكون دون إيساشار صيرفيًّا للبلاط نافذًا فلا يوافق، ويهدّده ذاك القاضي بحُكمِ تفتيشي، وأخيرًا يخاف اليهودي فيعقد صفقة أكون بها مع المنزل ملكًا للاثنين، فتكون أيام الاثنين والأربعاء والسبت لليهودي، وتكون أيام الأسبوع الأخرى لقاضي

Twitter: @ketab_n

التفتيش، وقد مضت ستة أشهر على هذا العهد، ولم تُقضَ الأمور من غير نزاع، فممّا يحدث في الغالب ألّا يقطع في كون ليلة السبت أو الأحد خاضعة للشرع القديم أو الشرع الجديد، وأمّا أنا فقد قاومت كلا الشرعين حتّى الآن، وأظنّ أنّ هذا سبب بقائي محبوبة دائمًا.

«ثم راق مولانا القاضي أن ينفذ حكمًا تفتيشيًّا دفعًا لآفة الزلازل وتخويفًا لدون إيساشار، فشرفني بالدعوة إلى ذلك، وقد أُعدّ لي مقعدٌ رائع، وقد قُدِّم إلى السيدات بعض المرطبات بين القدّاس والتنفيذ، والحقّ أنّه اعتراني ارتجافٌ عندما رأيت إحراق ذينك اليهوديينِ وذاك البسقائي الصالح الذي تزوّج شبينته، ولكن يا لَشدّة ما أصابني من دهشة وذعر واضطراب عندما رأيت وجهًا يشابه وجه بنغلوس في ثوب بِنِدِكتِي وتحت تاج! وقد فركت عينيَّ ونظرت بدقّة فرأيت شَنقَه، فخارت قواي، ولم أكد أسترِدّ شعوري حتّى رأيتك عاريًا، فكان بهذا تمام اشمئزازي وذعري وألمي وقنوطي، وأقول لك، والحقّ أقول، إنّ إهابك أشدّ بياضًا مع حُمرة من إهاب صاحبي القائد البلغاري، وقد ضاعف هذا المنظر جميع ما كان يسحقني ويقضمني من المشاعر، وقد صرخت، وقد حاولت أن أقول: «مهلًا أيُّها البرابرة!»، غير أنّ صوتي خانني، وكانت صرخاتي لا تُجدي نفعًا لو صحت، ولمّا تمّ جلدك على أليك قلت في نفسي: ما الذي جاء بالحبيب كنديد وبالحكيم بنغلوس إلى أشبُونة حتّي يُجلَد أحدهما مئة جلدةٍ وحتّي يُشنَق الآخر بأمرٍ من مولانا

Twitter: @ketab_n

قاضي التفتيش الذي أعدّ محبوبته المفضّلة؟ ولذا يكون بنغلوس قد خادعني بقسوة عندما كان يقول لي إنّ كلّ شيء في العالم يسير على خير ما يكون.

«وأكون مضطربةً حائرةً خائرةً تارةً، وأكاد أموت ضعفًا تارةً أخرى، ولا غَرو، فقد زخر رأسي بقتل أبي وأمي وأخي وبتطاول الجندي البُلغاري البغيض وطعنه إيّاي بالسكين وباسترقاقي وطِهَايتي وبالقائد البُلغاري وبدون إيسَّاشار الكريه وبقاضي التفتيش القبيح وبشنق الدكتور بنغلوس وبنشيد «ارحمني» الكنسي الذي كنت تُجلَد على ألْيَيك في أثنائه، ولا سيّما تلك القبلة التي منحتك إيّاها خلف الحاجز في آخر يوم رأيتك فيه، وأحمد الله الذي ردّك إليّ بعد ابتلاء كثير، وأُوصِي عجوزي بأن تُعنى بك، وبأن تجيء بك إلى هنا عند قدرتها على ذلك، فتجيد تنفيذ وصيتي، وأجد لذّة تفوق الوصف بأن أراك ثانية فأسمعك وأتحدّث إليك، ولا بدّ أنّك جائع جوعًا شديدًا، وشهوة الطعام قويّة عندي، فلنبدأ بالعشاء».

ويجلس الاثنان حول المائدة، ويعودان بعد العشاء إلى ذلك المتّكأ الجميل الذي تكلّمنا عنه، ويكونان عليه عندما وصل السنيور دون إيسّاشار الذي هو أحد صاحبي المنزل، فاليوم يوم السبت، وقد حضر ليتمتّع بحقّه ويُعرب عن ناعم حبِّه.

Twitter: @ketab_n

الفصل التاسع
ما وقع لكونيغوند وكنديد
وقاضي التفتيش الأكبر ولليهودي

كان إيسّاشار هذا أغضبَ عِبريّ شوهد في إسرائيل منذ إسارة بابل، وقد قال: «ماذا؟ عاهرة الجليل، ألا يكفي قاضي التفتيش؟ أيجب أن يقاسمني إيّاك هذا النذل أيضًا؟»، ويشهر، وهو يقول هذا، خنجرًا طويلًا كان لا يفارقه مطلقًا، وذلك من غير أن يبصر أن خصمه مسلّح، وينقضّ على كنديد، بَيدَ أنّ هذا الفِستِفاليّ الصالح كان قد تسلّم سيفًا رائعًا من العجوز مع الثوب الكامل، ويشهر السيف مع ما فُطِر عليه من حلم ويجندل الإسرائيلي مقتولًا عند قدمي كونيغوند الحسناء.

وتصرخ قائلة: «أيّتها القدّيسة العذراء! ما يحدث لنا؟ رجل قتل في منزلي! لو جاءت الشرطة لهلكنا»، ويقول كنديد: «لو لم يُشنَق بنغلوس لأحسن النصح لنا عند هذه الورطة، فقد كان فيلسوفًا عظيمًا، ودعينا نستنصح العجوز بسبب افتقاده»، وكانت

Twitter: @ketab_n

العجوز بالغة الحذر، وكانت تبدي رأيها عندما فُتح باب صغير، فقد حلّت الساعة الأولى بعد منتصف الليل، وبدأ يوم الأحد الذي هو خاصّ بمولانا قاضي التفتيش، ويدخل، ويرى المضروب على أليَيه: كنديد، شاهرًا سيفًا، ويرى قتيلًا مطروحًا على الأرض، ويرى كونيغوند مذعورة، ويرى العجوز وهي تبدي نصائحها.

وإليك ما دار في خَلد كنديد في تلك الدقيقة، وإليك طراز تفكيره: «إذا ما طلب هذا الرجل القديس عونًا أوجب تحريقي لا محالة، وهو يمكنه أن يصنع مثل هذا بكونيغوند، وقد حدث أن أمر بجلدي غير راحم، ويُعَدّ منافسي، ولا أجد مَعدِلًا عن قتله، ولا سبيل إلى التردّد»، وكان هذا الحكم جليًّا سريعًا، ولم يترك كنديد لقاضي التفتيش من الوقت ما يخرج فيه من دهشه، فبَقَرَه من طرف إلى طرف ورماه إلى جانب اليهودي، وتقول كونيغوند: «هذه ورطة أخرى، لا أمل في الخلاص، لقد حاق بنا حرمان الكنيسة، لقد حلّت ساعتنا الاخيرة، كيف حدث أن قتلت، أنت الذي ولد وديعًا جدًّا، يهوديًّا وأسقفًا في دقيقتين؟»، ويجيب كنديد بقوله: «آنستي الحسناء! إذا كان الرجل عاشقًا غيورًا، وإذا جُلد من قِبل محكمة التفتيش، صار غيرَ ذي وعي».

وهنالك تناولت العجوز الحديث وقالت: «يوجد في الإسطبل ثلاثة أفراس أندلسية مسرجة ملجمة، فليعدّها الباسل كنديد، ويوجد عند السيدة مال وألماس، فلنركب على عجل وإن كنتُ لا أستطيع القعود على غير العَجُز، ولنذهب إلى قادس

Twitter: @ketab_n

حيث أجمل جوٍّ في العالم، وإنّ من أعظم المتع أن يُسافَر في طراوة الليل».

هيّأ كنديد الأفراس الثلاثة، وسار مع كونيغوند والعجوز ثلاثين ميلًا من غير وقوف، وبينا كانوا يبتعدون وصلت جماعة القديسة هِرْمُنْداد إلى البيت، فدُفن المُنسنيور في كنيسة رائعة وأُلقي إيسّاشار في محلّ القمامة.

وقد وصل كنديد وكونيغوند والعجوز إلى مدينة أفاسينا الصغيرة الواقعة بين جبال مورينا، وقالوا في إحدى الحانات ما يأتي:

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

الفصل العاشر
كيف وصل كنديد وكونيغوند والعجوز إلى قادس في كرب شديد وكيف أبحروا

قالت كونيغوند باكية: «من استطاع أن يسرق مالي وألماسي إذن؟ ومِن أيّ شيء نستطيع أن نعيش؟ وما نصنع؟ وأين نجد قضاة تفتيش ويهودَ يعطوننا بدلًا منها؟»، وقالت العجوز: «واهًا! أشتبه كثيرًا في أَبٍ محترم من الفرنسسكان نام أمسِ في الفندق ذاته الذي كنّا نقيم به في بطليوس، أستغفر الله من سوء الظنّ! ولكنّه دخل غرفتنا مرّتين، وغادرها قبلنا بوقت طويل»، وقال كنديد: «آه! لقد أثبت لي بنغلوس الصالح، غالبًا، أنّ متاع الدنيا مشترك بين جميع الناس، وأنّ لكلّ واحد حقًّا متساويًا فيه، ولا بدّ من أن يكون هذا الراهب قد ترك لنا ما نُتمّ به رحلتنا وفق هذه المبادئ، ولذا ألم يبقَ عندك شيء يا كونيغوندي الحسناء؟»، فقالت: «ولا فَلْس»، وقال كنديد: «وما علينا أن نصنع؟»، وقالت العجوز: «لنَبِع فرسًا، وسأكون رِدف الآنسة، وإن كنت لا أستطيع أن أقعد على غير أَلْيَة واحدة، وسنصل إلى قادس».

Twitter: @ketab_n

وكان في الفندق رئيس ديرٍ بندكتيّ، فَشَرَى الفرس بثمنٍ بخسٍ، ويمرّ كنديد وكونيغوند والعجوز من لُوسينا وشِيلا ولِبريكْسَا، ويصلون إلى قادس في آخر الأمر، وكان يُجَهَّز أسطول، وكانت تُجمع كتائب لتأديب الآباء اليسوعيين المحترَمين في البراغواي حيث اتهموا بإثارة إحدى زُمَرهم على ملكَي إسبانية والبرتغال بالقرب من سان سكرَامنتُو، وبما أنّ كنديد كان قد خدم لدى البلغار فإنّه قام بتمرينٍ بلغاري أمام قائد الجيش الصغير فظهر رشيقًا سريعًا ماهرًا زاهيًا فأُعطِي قيادة كتيبة من المُشاة، وها هو ذا قائد مئة، ويبحر مع الآنسة كونيغوند والعجوز وخادمينِ والفرسينِ الأندلسيينِ اللّذينِ كان يملكهما قاضي البرتغال التفتيشيّ الأكبر.

ويقومون أثناءَ سياحتهم البحرية بمناقشات كثيرة حول فلسفة البائس بنغلوس، فيقول كنديد: «نحن ذاهبون إلى عالم آخر، وكلّ شيء في هذا العالم حَسَن لا ريب، وذلك مع الاعتراف بإمكان الأنين قليلًا ممّا يحدث في عالمنا روحًا وبدنًا»، وتقول كونيغوند: «أحبّك من جميع قلبي، ولكن مع بقائي نافرة من جميع ما رأيت وما بلوت»، ويجيب كنديد: «سيسير كلّ شيء سيرًا حسنًا، والآن يُفضَّل بحرُ هذا العالَم الجديد على بحَار أوربّتنا، فهو أكثر سكونًا ورياحه أكثر ثباتًا، ولا مراء في أنّ العالم الجديد خير ما يمكن من العوالم»، وتقول كونيغوند: «حقّق الله ذلك! ولكنّني بلغت من البؤس الهائل في عالمي ما أُغلق فؤادي معه دون الأمل تقريبًا»، وتقول العجوز لهما: «أنتما تتوجّعان، آه! إنّكما لم تبلُوا من المصائب ما بلوت»،

Twitter: @ketab_n

وتكاد كونيغوند تضحك، فقد وجدت هذه المرأة الطيبة مُفَكهة كثيرًا بزعمها أنّها كانت أشدّ بؤسًا منها، وقالت: «آه! يا حاضنتي، لا أجد ما يمكنك أن تفوقيني به ما لم يكن قد اغتصبك بُلغاريان وما لم تكوني قد طُعنت بضربتَي سكين في البطن، وما لم يكن قد هدم لك قصران، وما لم يكن قد قُتل لك أبوان وأمّان على مرأى منك، وما لم يكن قد جُلد لك عاشقانِ بأمرِ تفتيشيّ، وإلى هذا أضيفي كوني ولدت بارونة من اثنين وسبعين جيلًا من أجيال الشرف، فصرت طاهية»، فأجابت العجوز: «أنت لا تعرفين أصلي أيُّتها الآنسة، ولو أطلعتُك على استي لم تقولي الذي قلته ولأخّرت حكمك»، فأثار هذا القول حبًّا للاطّلاع بالغًا في نفس كونيغوند وكنديد، وإليك ما قالت العجوز:

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

الفصل الحادي عشر
قصّة العجوز

«لم تكن عيناي في كلّ وقت مقرّحة أجفانُها محاطة بلون القرمز، ولم يكن أنفي ليمسَّ ذقني في كلّ حين، ولم أكن خادمة دائمًا، ابنة البابا أوربان العاشر[1] وأميرة بالسترينا، وقد نشّئت، حتّى الرّابعة عشرة من سني، في قصر لم تكن جميع قصور باروناتكم الألمان لتصلح أصابلَ له، وكان أحد ثيابي أثمن من جميع روائع فستفالية، وقد ترعرت في روعة وألطاف وألمعيّات بين النعيم والاحترام والآمال، وكنت أوحي بالغرام، وكان جِيدِي يتكوّن، ويا لَه من جيد! محكمًا مفصلًا كجيد فينوس دو ميديسيس، ويا لَهما من عينين! ويا لَها من أجفان! ويا لهما من حاجبين أسودين! ويا لَلنار اللّامعة في حدقتيَّ إذ تمحو بريق النجوم كما كان يقول لي شعراء الحي! وكان النساء اللائي يُلبسنني ثيابي ويَخلعنها عني يقعن في

(١) انظر مقدار ما في ذلك من حذر المؤلّف، فلم يوجد بين البابوات ما سمّي أوربان العاشر حتّى الآن، وإنّما خشي المؤلّف أن تُنسب ابنة غير شرعية إلى أحد البابوات المعروفين (م).

Twitter: @ketab_n

وَجدٍ حينما ينظرن إليّ من الخلف ومن الأمام، وكان جميع الرجال يَودّون لو يقومون مقامهنّ.

«وقد كنت خطيبة لأمير ماسّا كرَّارا الحاكم، ويا لَه من أمير! لقد كان مِثلِي جمالًا، وكان مجبولًا على الحلم مفطورًا على الظَّرف، وكان يتّقد ذكاءً ويحترق غرامًا، وكنت أحبّه عابدةً فائزةً كحبّ المرّة الأولى، وأُعدّت الأفراح بأبهة وفخامة لم تسمع بمثلهما أذن، واستمرّت الأعياد، ودامت الألعاب، واتصلت الروايات الهزلية، وكانت إيطالية بأسرها تضع من القصائد في سبيلي ما لم أرضَ بواحدة منها، وكنتُ بالغةً ساعةَ سعادتي حينما دعَت أميري مركيزةٌ عجوزٌ صاحبةٌ له إلى تناول الشكولاته في منزلها، فقد مات في أقلّ من ساعتين بتشنجات هائلة، ولكن هذا ليس سوى أمرٍ تافه، فقد أُصيبت أمي بقنوط، وأمّي، وإن كانت دوني حزنًا، أرادت أن تتخلّص إلى حين من مكان مشئوم بذاك المقدار، وكانت لها أرض رائعة بالقرب من غايْتا، فأبحرنا على مركبٍ بلدي مذهَّب كهيكل القدّيس بطرس برومة، وينقضُّ علينا قرصان من سَالِهْ ويصل إلينا، ويدافع جنودنا عن أنفسهم كدفاع جنود البابا، فيركعون جميعًا ويُلقُون أسلحتهم طالبينَ إلى القرصان أن يقوموا بصلاة الغفران عند الوفاة.

«ويُعرّون من فورهم كالقرَدَة كما عُرّيت أمّي ووصائفنا وكما عُرّيت، ومن الأمور التي تُثير العجب سرعة تعرية هؤلاء السادة للناس، ولكنّ أكثر ما أدهشني هو إدخالهم إصبعًا إلى مكان

Twitter: @ketab_n

فينا جميعًا لم نكن، نحن النساءَ، لندع شيئًا يُدسّ فيه غير أنابيب المِحقَنة، ولاح لي هذا العمل بالغ الغرابة، وهذا ما نحكم به في كلّ أمر عندما نخرج من بلدنا، ولم ألبث أن علمت أنّ هذا وَقَع ليُرَى هل أخفينا ألماسًا هنالك، وهذه عادة استقرّت، منذُ زمن لا يُعرف أوّله، بين الأمم المتمدّنة التي تجول على البحر، وقد علمت أنّ هذا لا يفوت فرسان مالطة المتديّنين، مطلقًا، عندما يأسرون تُركًا وتركيّات، فهذا قانون دوليّ لم تُخالَف أحكامه قطّ.

«ولا أحدثك، مطلقًا، عن مقدار القسوة في جلب أميرة فتاة أسيرةً مع أمّها إلى مراكش، ويمكنك أن تتمثّلي، بما فيه الكفاية، ما كان علينا أن نعاني في السفينة القرصانية، وكانت أمّي لا تزال بالغة الجمال، وكان لدى وصائفنا، ولدى خادمات غُرَفنا أيضًا، من الفتون ما يتعذّر وجوده في جميع إفريقية، وكنت فاتنة، وكنت عين الجمال، وكنت عين الملاحة، وكنت بتولًا، ولم أبقَ هكذا زمنًا طويلًا، فقد اغتصب الربّان القرصان منّي هذه الزهرة التي كانت محفوظة لأمير ماسّا كرّارا الجميل، وكان هذا الربّان زنجيًّا قبيحًا، وكان يظنّ أنّه يحبُوني بهذا شرفًا عظيمًا، والواقع أنّه وجب أن أكون، مع السيدة أميرة بالسترينا، من القوّة ما نقاوم معه جميع ما بُلينا به حتّى بلوغنا مراكش! ولكن لننتقل، فهذه الأمور من الشيوع ما لا تستحقّ أن تُذكر معه.

«وكانت مراكش غارقة في الدم حين وصلنا، فقد كان لكلّ

Twitter: @ketab_n

من أبناء مولاي السلطان إسماعيل[1] الخمسين حزبُه، فأدّى هذا إلى اشتعال خمسين ثورة بالحقيقة، ثورة بين سود وسود، وثورة بين سود وسُمر، وثورة بين سُمر وسُمر، وثورة بين خِلاسيّين وخِلاسيّين، وكانت هذه ملحمة دائمة في جميع السلطنة.

«ولم نكد ننزل إلى البَرّ حتّى ظهر سود من العصابة المعادية لعصابة قرصاني كيما يسلُبُون غنيمته منه، وقد كنّا أثمن ما عنده بعد الألماس والذهب، وقد شاهدت معركة من طراز لم تَرَيْ مثله، قطّ، في أقاليم أوربّة، فليس لدى شعوب الشمال دمٌ حارّ بما فيه الكفاية، وليس عند هذه الشعوب من حدّة النساء مثل ما هو عام في إفريقيّة، ويظهر أنّه يوجد لبن في عروق الأوربيّين، وأنّ الزاج والنار يجريان في عروق سكّان جبل دَرَن والبلاد المجاورة له، وكان يُقاتَل بصولة الأسود والنمور وأفاعي البلد ليُعرَف مَن يملكنا، ويُمسك مغربيّ والدتي من ذراعها اليمنى، ويُمسكها وكيل ربّاني من ذراعها اليسرى، ويُمسكها جنديّ مغربيّ من إحدى ساقيها، ويمسكها أحد قراصيننا من ساقها الأخرى، ويتجاذب كلّ واحدة من بناتنا أربعة جنود في دقيقة واحدة تقريبًا، ويُخفيني ربّاني خلفه، وكان يحمل سيفًا بيده فيقتل به كلّ واحد يقاوم صولته، وأخيرًا رأيت أمي وجميع إيطاليّاتي ممزّقات مقطّعات مذبوحات من قِبَل الغيلان الذين كانوا يتنازعونهن، ويُقتل جميع الأُسارى ورفيقاتي ومَن قبضوا على هؤلاء، كما قُتل جنود وملّاحون وسود وسمر

(١) ١٦٤٦ـ١٧٢٧، وقد كان من أكثر ما عرف العالم الإسلامي بأسًا وسياسة(م).

Twitter: @ketab_n

وبيض وخِلاسيّون، ثم يُقتَل ربّاني، وأبقى مُحتضرة على كتلة من القتلى، ومناظر مثل هذه ممّا يقع، كما هو معلوم، ضمن مساحة تزيد على ثلاثمئة فرسخ، وذلك من غير ترْكٍ للصلوات الخمس التي أمر (مُحمّد) بأدائها في كلّ يوم.

«وقد تفلّتّ بمشقة كبيرة من جمع تلك الجثث الدامية الكثيرة المكدّسة، وزحفت إلى أسفل شجرة برتقال عظيمة قائمة على طرف جدول مجاور، وهنالك سقطت ذعرًا وتعبًا ونفورًا ويأسًا وجوعًا، ولم تلبث حواسي المنهوكة أن أسلمت إلى سبات ناشئ عن غشيان أكثر ممّا عن اطمئنان، وبينا كنت في هذه الحال من الضعف وعدم الشعور مترجّحة بين الموت والحياة أحسست ضغطي بشيء يتحرّك على جسمي ففتحت عيني ورأيت رجلًا أبيض حسن الملامح يتأوّه ويقول من بين أسنانه: «من البلاء أن يخلو الإنسان من خصـ.....».

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

الفصل الثاني عشر
تكملة مصائب العجوز

«بُهتُّ وبُهرتُ بسماع لغة وطني، ولم أكن أقلّ دهَشًا بما كان ينطق به هذا الرجل من كلام، فأجبته بوجود مصائب أعظم من التي يتوجّع منها، وأخبرته بكلمات قليلة عمّا قاسيت من الفظائع ثم هبطت ضعفًا، فأخذني إلى بيتٍ قريب، ووضعني على السرير وأعطاني طعامًا وقام بخدمتي، وأسلاني وداراني وقال لي إنّه لم ير، قطّ، مَن هي أجمل منّي، وإنّه لم يأسف مثل أسفه على شيء لا يستطيع أحد أن يعيده إليه. ومن قوله لي: «إنّني ولدت بنابل حيث يُخصي ما بين ألفَي ولد وثلاثة آلاف ولد في كلّ عام، ويموت بعض هؤلاء من ذلك، ويكتسب آخرون منهم صوتًا أجمل من صوت النساء، ويصبح آخرون حكّامًا في الدول، وتتمّ هذه العملية فيَّ بنجاح عظيم، وقد كنت موسيقيَّ بيعة السيدة أميرة بالسْترينا، «وأصرخ قائلة: بِيعَة أمّي!»، «ويصرخ باكيًا: بيعة أمّك! ماذا! أأنت تلك الأميرة الصغيرة التي ربّيتها حتّى السادسة من سنِيّها فكانت تنِمّ على جمال كالذي أنت عليه؟»، «ـ إنني تلك الفتاة، وقد قُطّعت أمي

Twitter: @ketab_n

إربًا إربًا، وهي تحت كتلة من القتلى على مسافة أربعمئة خُطوة من هنا.....».

«وقد قصصت عليه جميع ما وقع لي، وقصّ عليّ مغامراته أيضًا، أخبرني كيف أرسل إلى سلطان مراكش من قبل دولة نصرانية[1] لعقد معاهدة مع هذا العاهل يُجهّز وفقها ببارود ومدافع وسفن مساعدة له على استئصال تجارة النصارى الآخرين، ويقول لي هذا الخصيّ الصالح: «لقد تمّت رسالتي، وسأبحر إلى سَبتَة، وسأعيدك إلى إيطالية، ومن البلاء أن يخلوَ الإنسان من خصـ...!».

«وأشكر له ذلك باكية بكاءَ حنانٍ، ويقودني إلى الجزائر بدلًا من أن يأتي بي إلى إيطالية، ويبيعني من دَايِ هذه الولاية، ولم أكد أباع حتّى انتشر بصولة في الجزائر ذلك الطاعونُ الذي طاف في إفريقية وآسية وأوربّة، أجل، لقد رأيت زلازل، ولكن هل أصبت بالطاعون أيّتها الآنسة؟» وتجيب البارونة بقولها: «كلّا»، وتقول العجوز مجيبة: «لو كنت قد أصبت به لاعترفت بأنّه يفوق الزلزال، وهو كثير الشيوع في إفريقية، وقد أصابني، وتمثّلي أي وضع تكون عليه ابنة للبابا بالغة من العمر خمس عشرة سنة فتبتلى في ثلاثة أشهر بالفقر والأسر، ويهتك سترها في كلّ يوم تقريبًا، وتشاهد تقطيع أمّها أربع قطع، وتعاني الجوع والحرب، وتكاد تموت في الجزائر

(١) هي البرتغال، وقد طلبت محالفة مولاي إسماعيل في أثناء حرب وراثة العرش الإسباني (م).

Twitter: @ketab_n

بالطاعون، ومع ذلك فإنّني لم أمُت، وإنّما هلك بالطاعون خصيِّي والدي وجميع مَن في بلاط الجزائر تقريبًا.

«ويباع عبيد الداي عند انقضاء أول تَلَفٍ أوجبه هذا الطاعون الهائل، فيشتريني تاجر ويأتى بي إلى تونس ويبيعني من تاجر آخر فيبيعني هذا في طرابلس، ومن طرابلس أُباع في الإسكندرية، ومن الإسكندرية أُباع في إزمير، ومن إزمير أُباع في الآستانة، وأخيرًا أصير ملْك أغا الأنكشارية الذي لم يُعتِّم أن أمر بالسفر للدفاع عن آزوف أمام الروس الذين كانوا يحاصرونها[1].

«وكان هذا الأغا مِغناجًا إلى الغاية، فأخذ معه جميع من في سراياه، وجعلنا نقيم بقلعة صغيرة واقعة على شاطئ بالوس مِئوتِيدس (بحر آزوف) ويحرسها خَصيَّان أسودان وعشرون جنديًّا، ويقتل عدد هائل من الرّوس فيقابلوننا بالمثل، وتسلم آزوف إلى التحريق والتقتيل من غير أن يراعى جنس ولا عمر ولم يبق غير قلعتنا الصغيرة، وقد أراد العدوّ أخذنا بالجوع، وكان الأنكشاريّة العشرون قد أقسموا على عدم الاستسلام مطلقًا، فما انتهوا إليه من جوع متناهٍ حملهم على أكل خصيّينا خشية الحنث في يمينهم، ولمّا انقضت أيام قليلة عزموا على أكل النساء.

«وكان عندنا إمام بالغ التقوى بالغ الحنان، فقام بوعظ رائع جعلهم يقنعون معه بألّا يذبحونا تمامًا، فقد قال: «اقطعوا أليّةً فقط

(١) كان هذا في ١٦٩٥ـ١٦٩٦م (م).

Twitter: @ketab_n

من كلّ واحدة من هؤلاء النسوة، فبهذا ترتعون، وإذا ما وجب أن تعودوا إلى ذلك وجدتم مثل ذلك لأيام، وسيرضي الربّ عن عمل كثير الخير كهذا تُغاثون به».

«وكان الإمام فصيحًا جدًّا، فأقنعهم، وتقضي هذه العملية الفظيعة فينا، ويدهننا الإمام بذات المرهم الذي يوضع للأولاد عقب ختانهم، ونوشك أن نموت جميعًا.

«ولم يكد الأنكشارية يتمُّون طعامهم الذي قدّمناه إليهم حتّى وصل الروس على سفن مستوية، ولم يتلفّت أيّ واحد من الأنكشارية ولم يبدُ من الروس أيّ انتباه إلى الحال التي كنّا عليها، ويوجد جرّاحون فرنسيّون في كلّ مكان، وكان أحدهم ماهرًا جدًّا فعُني بنا، وشفانا ولن أنسى مدى حياتي أنّه طلب منّي أمورًا بعد أن التأمَت جروحي جيّدًا، ومع ذلك فقد أُوعز إلينا أن نتعازى موكّدًا لنا كون مثل هذا الأمر ممّا وقع في كثير من الحِصارات، وأنّ هذا هو قانون الحرب.

«ولمّا أصبحت رفيقاتي قادرات على المشي سُيّرنا إلى موسكو فكنتُ نصيب بوياريّ جعلني بُستانيَّته، وصار يجلدني عشرين مرّة في كلّ يوم، ولكن بما أنّ هذا السنيور عُذّب بالدولاب، عند انقضاء عامين، مع ثلاثين من البويار، وذلك بسبب اضطراب في البلاط، فقد استفدت من هذا الحادث وهربت وجاوزت جميع روسية وقضيت زمنًا طويلًا خادمة في حانة بريغا ثم بروستُك وفسمار وليبسك وكاسل وأُترخت ولَيدن ولاهاي ورُوتردام، وقد شِبت في

Twitter: @ketab_n

البؤس والخزي غير صاحبة لغير أَلِيّة واحدة ذاكرةً، دائمًا، أنّني كنت ابنة لأحد البابوات، أجل، لقد أردت مئة مرّة أن أنتحر، ولكنّني ما فتئت أحبّ الحياة، وقد يكون هذا الضعف المضحك أكثر ميولنا شؤمًا، وهل يوجد ما هو أسخف من العزم على حَملِ حِملٍ يُراد طرحه على الأرض باستمرار، ومن نظرِ الإنسان إلى نفسه مشمئزًّا مع تعلّقه بنفسه ثمّ من ملاطفة الثعبان الذي يلتهمنا حتّى يأكل قلبنا؟

«ولقد رأيت في البلدان التي حملني الطالع على الطواف فيها، وفي الحانات التي خدمت فيها، عددًا عظيمًا ممّن كرهوا حياتهم، ولكنّني لم أر بين هؤلاء غير اثني عشر وضعوا حدًّا لبؤسهم طائعين، أي غير ثلاثة من الزنوج وأربعة من الإنكليز وأربعة من جنيف وأستاذ ألمانيّ اسمه روبك[1]، وأخيرًا صرت خادمة عند اليهوديّ دون إيسّاشار، فجعلني قريبة منك يا آنستي الحسناء، وربطت نفسي بمصيرك وصرت أكثر اكتراثًا لمغامراتك ممّا لمغامراتي، وما كنت لأحدثك حتّى عن نكباتي لو لم تنخزيني قليلًا ولو لم يكن من العادة في المركب أن تُقصّ قصص للتسلية، والخلاصة أنّني أتمتّع بالتجربة، أيّتها الآنسة، وأعرف العالم، وروِّحي عن نفسك، فاجعلي كلّ راكبٍ يقصّ عليك قصته، فإذا وجدت أحدًا منهم لم يقل عن نفسه إنّه كان أتعس الناس فألقيني في البحر، وليكن رأسي أول ما تلقين».

---

(١) أغرق نفسه بطوعه (١٦٧٢ ـ ١٧٣٩) (م).

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

الفصل الثالث عشر
كيف اضطرّ كنديد إلى الانفصال عن كونيغوند الحسناء وعن العجوز

لقد سمعت كونيغوند الحسناء قصّة العجوز فعاملتها بضروب الأدب الواجب نحو شخصٍ من مقامها وحَسَبها، وقد قبلتْ اقتراحها فألزمت جميع المسافرين بأن يقصّ كلّ واحد منهم بعد الآخر مغامراته عليها، وقد اعترفت مع كنديد بأنّها كانت على حقٍّ، فقال كنديد: «إنّ من الرزايا شنق الحكيم بنغلوس بحكم تفتيشيّ على خلاف العادة، فكان لا بدّ من قصصه علينا أمورًا عجيبة عن الشرور المادّية والأدبية التي تغمر الأرض والبحر، وكان لا بدّ من شعوري بشيء من القوّة أجرُؤ به على توجيه بعض اعتراضات إليه مع الاحترام».

وبينا كان كلّ واحد يقصّ قصته كانت السفينة تتقدّم، وتبلغ بُوينوس أَيْرس، ويذهب كلّ من كونيغوند وقائد المئة كنديد والعجوز إلى الحاكم دون فرناندو ديبارا ئي فيغيئورا ئي

Twitter: @ketab_n

مسكارنس ئي لنبوردوس ئي سوزا، وكان هذا السيد من الزهو ما يلائم رجلًا حاملًا أسماء كثيرة بهذا المقدار، وكان يخاطب الناس بأرفع ازدراء وبأنف شامخ وبصوتٍ مرتفع قاسٍ وباتخاذ وضع مهيب وبتصعير خدّ بالغ من الغطرسة ما كانت معه نفوس جميع من يحيّونه تحدّثهم بلطمه، وكان شديد الولع بالنساء، فلاحت له كونيغوند أجمل مَن رأى في حياته، وكان أول شيء صنعه سؤاله كونها ليست زوجة لقائد المئة مطلقًا وقد هال الوجه الذي طرح به هذا السؤال كنديد فلم يجرؤ أن يقول إنّها زوجُه ما دامت غير ذلك في الحقيقة، ولم يجرؤ أن يقول إنّها أخته ما دامت غير ذلك أيضًا، ومع أنّ هذه الأكذوبة النافعة كانت كثيرة الشيوع لدى القدماء، ومع أنّ من الممكن أن تكون نافعة لدى المعاصرين، فإنّه كان من صفاء النفس ما لا يحيد معه عن الحقيقة فقال: «إنّ الآنسة كونيغوند ستشرفني بأن أتزوّجها، وإنّنا نتوسّل إليك يا صاحب السعادة، أن تتفضّل فتقوم بعقد قراننا».

رفع دون فرناندو ديبارا ئي فيغيئورا ئي مسكارنس ئي لنبوردوس ئي سوزا شاربَيه، وتبسّم بمرارة، وأمر قائد المئة كنديد بأن يذهب لعرض كتيبته، ويطيع كنديد، ويبقى الحاكم مع الآنسة كونيغوند، ويصرّح لها بهواه، ويعدها بأن يتزوّجها غدًا أمام الكنيسة أو على وجه آخر يروق فتونها، وتستمهله كونيغوند ربع ساعة لتَجمَع حواسّها وتستشير العجوز وتعزم.

قالت العجوز لكونيغوند: «أيّتها الآنسة! إنّك سليلة اثنين

Twitter: @ketab_n

وسبعين جيلًا من أجيال الشرف، ولا تملكين فلسًا، فعليك يتوقّف أن تكوني زوجًا لأكبر سنيور في أمريكة الجنوبية صاحبٍ لشاربٍ جميل، وهل عليك أن تُفاخري بالوفاء في كلّ ابتلاء؟ لقد اغتصبك البلغار، وكان ليهوديّ وقاضٍ تفتيشيٍّ حُسن ألطافك، وتمنح المصائب حقوقًا، وأعترف بأنّني لو كنت في مكانك لم يساورني تردّد في الزواج بالسيد الحاكم، وفي إسعاد قائد المئة السيد كنديد»، وبينا كانت العجوز تتكلّم بكلّ ما يقتضيه العمر والتجربة من حذر بالغ رُئي دخول مركب صغير في الميناء يَحمِل قاضيًا وجنودًا، وإليك ما حدث:

لقد أصابت العجوز في حَزْرها أنّه الرّاهب ذو الكمّ الطويل الذي سرق نَقْدَ كونيغوند وحُليَّها في مدينة بطليوس حينما كانت فارّة مع كنديد على عجل، وقد أراد هذا الراهب أن يبيع بعض الحُلِيّ من صائغ، فتحقّق هذا التاجر كونها مُلْكًا للقاضي التفتيشيّ الأكبر، فاعترف الراهب، قبل أن يشنق، بأنّه كان قد سرقها، فوصف الأشخاص ودلّ على الطريق التي سلكوها، وكان فرار كونيغوند وكنديد أمرًا معروفًا، فوقع تتبُّعُهم إلى قادس، وأرسلت سفينة لتعقّبهم كسبًا للوقت، والآن أصبحت السفينة في ميناء بوينوس أيرس، وأُشيع أن قاضيًا سينزل منها تعقيبًا لقَتَلة مولانا قاضي التفتيش الأكبر، وأبصرت العجوز الفطون في دقيقة جميع ما يجب أن يصنع، فقالت لكونيغوند: «لا تستطيعين الفرار، ولا يوجد ما

Twitter: @ketab_n

تخافينه، فلَم تكوني قاتلة مولانا، ثم إنّ الحاكم الذي يحبّك لن يطيقِ اضطهادك، فمكانَك»، وتهرع من فورها إلى كنديد وتقول له: «فِرّ، وإن لم تفعل حُرِقت بعد ساعة»، ولا ينبغي فوات دقيقة، ولكن كيف الانفصال عن كونيغوند وأين الملجأ؟

Twitter: @ketab_n

الفصل الرابع عشر
كيف قُبِل كنديد وككنبو من قبل يسوعيّي البراغواي

كان كنديد قد جلب من قادس خادمًا من النوع الذي يوجد كثيرًا في سواحل إسبانية وفي المستعمرات، وكان رُبُعُه إسبانيًّا، وكان أبوه خِلاسِيًّا في توكومان[1] وكان ابن جوقة ترتيل وافهًا[2] ملّاحًا راهبًا بريديًّا جنديًّا وصيفًا، وكان يسمّى ككنبو، وكان شديد الحبّ لسيده لأنّ هذا السيد كان طيّبًا جدًّا، ويُسرِج الفرسين الأندلسيين سريعًا، ويقول: «لنذهب يا معلّمي، ولنعملْ بنصيحة العجوز ولننطلق، ولنَعدُ من غير نظر إلى الوراء»، ويَسكب كنديد عبرات ويقول: «أي كونيغوند العزيزة! أيجوز أن أتركك في وقت يكاد السيد الحاكم يزوجنا فيه! أي كونيغوند، التي أتى بها من بعيد، ما يحدث لك؟»، ويقول ككنبو: «ستصبح ما يمكنها أن تكون، ولا

(١) مديرية واقعة في شمال بوينوس أيرس الغربي (م).
(٢) الوافه: قيم الكنيسة.

Twitter: @ketab_n

يضيق النساء بأنفسهنّ مطلقًا، والربّ يشملهُنّ برعايته، ولنَجْرِ»، ويقول كنديد: «وإلى أين تأتي بي؟ وإلي أين نذهب؟ وما نصنع من غير كونيغوند؟»، ويقول ككنبو: «لقد أتيت من سان جاك دوكُنبوسْتِلّا لتحارب اليسوعيّين، فلنذهب لنقاتل في سبيلهم، ولي علم كافٍ بالطرق، فسآتي بك إلى مملكتهم، وسيُفتَنون باشتمالهم على قائد مئة يقوم بتمرينات على الطريقة البلغارية، وستثرى ثراء عجيبًا، ومن يخِب في عالم ينجح في عالم آخر، ومن عظيم النعم على الإنسان أن يرى وأن يعمل أشياء جديدة».

قال كنديد: «إذن، كنت في البراغواي؟»، فقال ككنبو: «أجل، حقًّا!»، وقد كنت أجيرًا في كلية انتقال العذراء، فأعرف حكومة الآباء اليسوعيّين كما أعرف شوارع قادس، وتعدّ هذه الحكومة من أعجب الأشياء، والآن يزيد قطر المملكة على ثلاثمئة فرسخ، وهي مقسّمة إلى ثلاثين مديرية، ويملك الآباء اليسوعيون فيها كلّ شيء، ولا يملك الشعب فيها شيئًا، وهذا من روائع العقل والعدل، وأرى أنّه لا يوجد شيء لاهوتي كالآباء اليسوعيّين الذين يحاربون ملك إسبانية وملك البرتغال هنا ويبدون قساوسة اعتراف لهذين الملكين في أوربّة، والذين يقتلون الإسبان هنا ويرسلونهم إلى عِلّيين في مدريد، وهذا يُذهلني، ولنتقدّم، وسوف تكون أسعد الناس، ويا لَبهجة الآباء اليسوعيين حين يعلمون أنه قدم عليهم قائد مئة عارف بالتدريب البلغاري!».

ويصلان إلى الحاجز الأول فيقول ككنبو لحرس الطليعة، من

Twitter: @ketab_n

فوره، إنّ قائد مئة يطلب محادثة مولانا القائد، ويُنقَل هذا الخبر إلى الحرس الأكبر، ويهرع ضابط براغوائي إلى قدمي القائد لينبئه بالحادث، ويجرَّد كنديد وككنبو من السلاح في بدء الأمر، ويُقبَض على فرسيهما الأندلسيين، ويدخل الأجنبيان بين صفّين من الجنود، ويظهر القائد في الطرف لابسًا عمرة ذات ثلاث قُرَنٍ، وثوبًا مشمرًا، وحاملًا سيفًا على جانبه، وحربةً بيده، ويأتي بإشارة، فلم يلبث أربعة وعشرون جنديًّا أن أحاطوا بالآتيَيْن حديثًا، يقول لهما عريف إنّه لا بدّ من الانتظار، فلا يمكن القائد أن يكلِّمهما، وإنّ الأب الرجويّ المحترم لا يسمح لأيّ إسبانيّ بأن يفتح فاه إلّا في حضرته وبأن يبقى أكثر من ثلاث ساعات في البلد، ويقول ككنبو: «أين الأب الرجوي المحترم؟» ويجيب العريف عن هذا بقوله: «إنّه يعرض الجنود بعد أن أقام القدّاس، ولن تستطيعا تقبيل مهمازيه قبل ثلاث ساعات»، ويقول ككنبو: «ولكن السيد قائد المئة، الذي يموت جوعًا كما أموت، ليس إسبانيًّا مطلقًا، بل ألمانيّ، أفلا نستطيع أن نُفطِر في أثناء انتظار سيادته؟».

ويذهب العريف إلى القائد حالًا ليخبره بهذا، ويقول هذا السنيور: «تبارك الله! أستطيع أن أكلّمه ما دام ألمانيًّا، فليُؤتَ به إلى مظلّتي»، ويساق كنديد من فوره إلى حجرة خضيرة مزيّنة بأعمدة رائعة رخاميّة خُضر مُذهَبة وبقفص مشتمل على ببغاوات وغرغرات ونغران وبغثان وجميع الطيور النادرة، ويُعدّ فطور فاخر في آنية من ذهب، وبينا كان أهل براغواي يأكلون الذرة في قِصاع

Twitter: @ketab_n

من خشب، وذلك بالعراء وتحت حَرِّ الشمس، كان الأب القائد المحترم يدخل المظلّة.

وقد كان شابًّا وسيمًا مليء الوجه أبيض الإهاب ناضر الأدمة مرتفع الحاجبين حادّ العينين، أحمر الأذنين قاني الشفتين، غطريسًا غطرسة ليست كالتي عند الإسباني ولا كالتي عند اليسوعي، وتعاد إلى كنديد وككنبو أسلحتهما التي أخذت منهما كما أُعيد إليهما فرساهما الأندلسيّان، وقد أطعمهما ككنبو جُلُبّانًا بالقرب من المظلّة، ولم ينفكّ ينظر إليهما خشية المفاجأة.

وأول ما صنع كنديد هو تقبيله ذيل حُلّة القائد، ثم جلسا حول المائدة، فقال له اليسوعي بالألمانية: «إذن، أنت ألمانيّ؟»، فقال كنديد: «أجل، يا أبتِ المحترم»، وبينا كانا ينطقان بهذا الكلام كان كلّ منهما ينظر إلى الآخر بدهش بالغ وولع لم يكونا ضابطين له، ويسأل اليسوعي: «ومن أيّ بلد ألمانيّ أنت؟»، فيقول كنديد: «من ولاية فستفالية الدنسة، فقد ولدت في قصر ثندرتن ترنك»، ويصرخ القائد قائلًا: «ربّاه! أهذا ممكن!»، ويقول كنديد صارخًا: «يا لها من معجزة!»، ويقول القائد: «أأنت؟»، ويقول كنديد: «هذا غير ممكن»، ويقعان على ظهرهما، ويتعانقان، ويسكبان جداول من العبرات، ويقول كنديد: «ماذا؟ أأنت أيّها الأب المحترم؟ أأنت أخو كونيغوند الحسناء؟ أنت الذي قتله البلغار! أنت ابن سيدي البارون! أنت يسوعي في براغواي! يجب أن يُعتَرَف بأن هذا العالم أمر عجيب، بنغلوس! بنغلوس! ما أعظم ما تكون عليه من سرور لو لم تشنق!».

Twitter: @ketab_n

ويصرف القائد العبيد الزنوج والبراغوائيين الذين كانوا يقدّمون خمرًا في كئوس من بلور، ويشكر للربّ وللقديس إغناتيوس، ويضمّ كنديد بين ذراعيه، وكان وجههما غارقًا بالدموع، ويقول كنديد: «ويزيد دهشك وحنانك ويطير لبّك إذا ما قلت لك إن أختك الآنسة كونيغوند التي ظننتَ أنها بُقرت مملوءة صحةً»، «ـ أين؟»، «ـ في جوارك، عند السيد حاكم بوينوس أيرس، وكنت قد أتيت لمحاربتكم»، وكانت كلّ كلمة ينطقان بها تركم معجزة على معجزة، وكانت روحهما تطير بكاملها من لسانهما، وتسمع في آذانهما وتلمع في أعينهما، وبما أنّهما ألمانيّان فقد مكثا طويلًا حول المائدة منتظريْنِ الأب الرجوي المحترم، وقد حدّث القائد كنديده العزيز كما يأتي:

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

الفصل الخامس عشر
كيف قتل كنديد أخا كونيغوند العزيزة

«سأذكر ما بقيت حيًّا ذلك اليوم الفظيع الذي شاهدت فيه قتل أبي وأمي واغتصاب أختي، ولمّا انصرف البلغار لم توجد قطّ هذه الأخت التي تستحقّ العبادة، وأوضع في كارّة أنا وأمّي وأبي وخادمتان وثلاثة صغار نُحراء[1] لنُدفَن في بيعة لليسوعيين بعيدة فرسخين من قصر آبائي، ويرش يسوعي ماءً مقدّسًا علينا، وكان مملحًا للغاية، ويدخل بضع قطرات منه في عيني، ويبصر الأب حركة صغيرة في جفني، ويضع يده على قلبي، ويشعر بأنّه يخفق، وأسعف، وتمضي ثلاثة أسابيع فأظهر كأنّني لم يطرأ عليّ شيء، وتعلم، يا كنديدي العزيز، أنّني كنت باهر الجمال، فغدوت أحسن ممّا كنت، ثم إنّ رئيس الدير، الأب المحترم كروست كان يحمل لي أرقّ وِداد فأعطاني ثوب ناشئ في الترهّب، وأُرسَلُ بعد وقت قصير إلى رومة، وكان الأب العام راغبًا في جمع فتيان يسوعيين

(١) النحراء: جمع النحير، وهو المذبوح.

Twitter: @ketab_n

من الألمان، وكان حكّام البراغواي يقبَلون أقلّ ما يمكنهم من يسوعيي الإسبان، وكانوا يفضّلون عليهم الأجانب معتقدين أنّهم أقدر على رقابتهم، وقد رأى الأب العام المحترم أنّني أهلٌ للعمل في هذا الحقل فسافرت أنا ورجل من بولونية ورجل من التيرول، ولمّا وصلت شُرّفتُ بمنصب شمّاس وملازم، وأنا اليوم قسيس وزعيم عسكري، وسنلاقي كتائب ملك إسبانية بشدّة، وأنا زعيم بأنّها ستحرم وتهزم، وقد قضت العناية الربانية بإرسالك إلى هنا لمساعدتنا، ولكن هل من الصحيح وجود أختي العزيزة كونيغوند في الجوار عند حاكم بوينوس أيرس؟»، وكدّ كنديد هذا باليمين قائلًا إنّه لا شيء أصدق من هذا النبأ، وتنهمر دموعهما مرّة أخرى.

ولم يتعب البارون من معانقة كنديد، وكان يدعوه بأخيه، ومنقذه، ويقول: «آه! قد نستطيع معًا، يا كنديدي العزيز، أن ندخل المدينة غالبين فنسترد أختي كونيغوند، ويقول كنديد: «هذا كلّ ما أتمنّاه، فأنا راغب في الزواج بها، وهذا ما لا أزال أرجو»، ويجيب البارون بقوله: «أيّها الوقح! هل بلغت من القحة ما تتزوّج به أختي التي هي سليلة لاثنين وسبعين جيلًا من الأشراف؟ أجدك بالغ السفه بإقدامك على محادثتي في أمر بالغ الجرأة!»، ويبهت كنديد من هذا الكلام ويجيب عنه بقوله: «أبي المحترم! لا قيمة لجميع أجيال الشرف في العالم، فقد انتشلت أختك من ذُرْعان يهودي وقاضٍ تفتيشي، فهي تشكر لي ذلك، وتريد أن تتزوّجني، وقد كان الأستاذ بنغلوس يقول لي، دائمًا، إن الناس متساوون، وسأتزوّجها

Twitter: @ketab_n

لا ريب» ويقول بارون ثندرتن ترنك اليسوعي: «سنرى ما يتمّ أيّها النذل»، ويضربه على وجهه بعرض سيفه في الوقت نفسه، ويستل كنديد سيفه حالًا، ويغمده في بطن البارون اليسوعي حتّى مقبضه، ولكنّه يبكي حينما ينتَزِله داخنًا، ويقول: «واحرباه! ربّاه! لقد قتلت حبيبي ونسيبي وسيدي السابق، إنّني أطيب الناس، ومع ذلك فقد قتلت ثلاثة رجال، ومن هؤلاء الثلاثة قسّيسان».

ويهرع إلى المظلّة ككنبو الذي كان يقوم بالحراسة عند بابها، ويقول له سيده: «لم يبقَ لنا غير بيع حياتنا غالية، ولا ريب في أنّ المظلّة ستدخل، فيجب أن نهلك شاهرين سلاحنا»، ولم يفقد صوابه قطّ ككنبو الذي قد مرّ عليه مثل هذا الحادث فيتناول الحُلّة اليسوعية التي يلبسها البارون، ويضعها على كنديد، ويناوله عمرة القتيل المربعة، ويركبه فرسًا ويتمّ جميع هذا في طرفة عين، «ولنعد، يا سيدي، فجميع الناس سيعدونك يسوعيًّا حاملًا أوامر، وسنجاوز الحدود قبل أن نُتعقَّب»، وبينا هو يقول هذا كان يطير صائحًا بالإسبانية: «طريقًا، طريقًا للأب الزعيم العسكري المحترم!».

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

الفصل السادس عشر
ما وقع للسائحين مع فتاتين وقردين والمتوحّشينَ الذين يُدعَون الأوريّون

يجاوز كنديد وخادمه الحواجز قبل أن يعرف أحد في المعسكر قتل اليسوعي الألماني، ولم يغفل اليقظ ككنبو عن ملء خرجه خبزًا وشكولاته وفخذ خنزير مقدّدة وفواكه وبعض قوارير خمر، ويوغلان بفرسيهما الأندلسيّين في بلد مجهول لم يكتشفا فيه أي طريق كان، وأخيرًا يبدو لهما مرج جميل تقطعه جداول، ويدع السائحان فرسيهما يأكلان، ويعرض ككنبو على سيده أن يأكل ويجعل من نفسه المثل فيقول كنديد: «كيف تريد أن آكل فخذ خنزير مقدّدة وقد قتلت ابن سيدي البارون وأجدني محكومًا عليّ بألّا أرى كونيغوند الحسناء مدى حياتي؟ وما فائدة إطالة أيام بؤسي ما وجب عليّ أن أقضيها بعيدًا منها مبكّت الضمير قانطًا؟ وما تقول صحيفة تريفو[1]؟».

(١) هي جريدة اليسوعيين التي أنشئت في تريفو سنة ١٧٠١ (م).

Twitter: @ketab_n

قال هذا وأخذ يأكل، وكانت الشمس تغرب، وسمع التائهان أصواتًا خافتة يلوح صدورها عن نساء، ولم يعرفا هل هذه أصوات فرح أو ترح، غير أنّهما نهضا بسرعة مع جزع وهلع يوحي بهما كل شيء في بلد مجهول، وكانت هذه الصيحات تخرج من فتاتين عاريتين عاديتين عدوًا خفيفًا على طرف المرج على حين يتعقّبهما قردان فيعضان أَلَيَاتهما، وتأخذ الرحمة كنديد الذي تعلم إطلاق النار من البلغار فيمكنه أن يسقط بُندُقة من غير أن تُمَس الأوراق، ويتناول بندقيته الإسبانية ذات الطلقتينِ، ويطلق فيقتل القردين، ويقول: «حمدًا لله يا ككنبو العزيز! فقد أنقذت هاتين المسكينتين من خطر عظيم، وإذا كنت قد اقترفت ذنبًا بقتلي قاضيًا تفتيشيًّا ويسوعيًّا فقد كفرت عمّا اجترحت بإنقاذي حياة الفتاتين اللتين قد تكونان من ذوات الحسب، ويمكن أن ننال بهذه المغامرة فوائد عظيمة في هذا البلد».

أجل، كان يواصل قوله، غير أنّ لسانه انعقد حينما رأى الفتاتين تقبلان القردين تقبيل حنان باكيتين فوق جسميهما، مالئتين الجو عويلًا محزنًا، وأخيرًا يقول لككنبو: «ما كنت لأنتظر رفقًا بهذا المقدار»، فيجيب ككنبو بقوله: «لقد قمت بأمر رائع يا مولاي، فقد قتلت عاشقي هاتين الآنستين»، «ـ عاشقان! أهذا ممكن؟ أنت تهزأ بي يا ككنبو، وكيف أصدقك؟»، ويجيب ككنبو بقوله: «سيدي العزيز، أنت تدهش بكلّ شيء، فلم تجد من الغرابة البالغة وجود قردة في بعض البلدان تنال ألطافًا من النساء؟ إنّ القردة أرباع إنسان

Twitter: @ketab_n

كما أنّني ربع إسباني» ويقول كنديد: «واهًا! أذكر أنني سمعت ما قيل للأستاذ بنغلوس من أنّ مثل هذه الحوادث كان يقع فيما مضى فأسفرت هذه الاختلاطات عن آلهة الحقول والرعاة وعن أناس لهم أرجل تيوس الغابات فرأى ذلك أعيان القرون القديمة، فكنت أَعُدُّه من الأساطير»، ويقول ككنبو: «عليك أن تقنع الآن بأنّ هذا الأمر حقيقة، وانظُر كيف يتصرّف في ذلك من لم يتلقَّ قسطًا من التربية، وكلّ ما أخشاه أن تصيبنا معرّة من هؤلاء النسوة».

حملت هذه التأمُّلات المتينة كنديد على مغادرة المرج وعلى الإيغال في غابة حيث تناول عشاءه مع ككنبو، وقد نام الاثنان على الطحلب بعد لعنهما قاضي البرتغال التفتيشيّ وحاكم بوينوس أيرس والبارون، فلمّا أفاقا شعرا بأنّهما لا يستطيعان الانتقال، وسبب ذلك كون الفتاتين وَشَتَا بهما إلى أهل البلد، الأوريّون[1]، فقيّدهما هؤلاء ليلًا بجبال من قشر الشجر، وقد كان يحيط بهما نحو خمسين من الأوريّون كاملي العُري مسلّحين بنبال ودبابيس وفئوس من صَوّان، وكان بعضهم يُغلي قِدْرًا كبيرة، وكان آخرون يُعدّون سفافيد[2]، وكان الجميع يصرخ قائلًا: «هذا يسوعي، هذا يسوعي، سننتقم ونتناول غداء فاخرًا، ولنأكل اليسوعي، لنأكل اليسوعي».

صرخ ككنبو قائلًا بحزن: «لقد قلت لك، يا سيدي العزيز،

(١) أطلق الإسبان هذا الاسم على أولئك القوم لما رأوا من ضخامة آذانهم بقروط كبيرة متدلية منها (م).

(٢) السفافيد: جمع السفود، وهو حديدة يُشوى عليها اللحم (م).

Twitter: @ketab_n

إنّ تينك الفتاتين ستدبّران لنا مكيدة سيئة»، ويبصر كنديد القدر والسفافيد ويقول صارخًا: «سنشوي ونغلي لا ريب، آه! ماذا كان يقول الأستاذ بنغلوس لو رأى ما الحال الطبيعية الخالصة؟ ليكن كلّ شيء حسنًا، ولكنّني أعترف بأنّ من القسوة ضياع الآنسة كونيغوند والوضع على السفود من قبل الأوريّون»، ولم يفقد ككنبو الحزين: «لا تيأس، فقد فهمت قليلًا من لهجة هؤلاء الأقوام، فسأكلّمهم»، ويقول كنديد: «لا يَفُتْك أن تبيّن لهم ما في طبخ الناس من فظاعة شنيعة وابتعاد عن النصرانية».

قال ككنبو: «أيّها السادة، أراكم عازمين على أكل يسوعي اليوم، وهذا عمل حسن جدًّا، ولا شيء أكثر عدلًا من معاملة الأعداء على هذا المنوال، والواقع أنّ الحقّ الطبيعي يعلمنا قتل جارنا، ويُسار على هذا في جميع الأرض، وإذا كنّا لا نستعمل حقّ أكل الجار فذلك لوجود وسائل أخرى نرتع بها، بيد أنّكم لا تملكون مثل وسائلنا، والحقّ أنّ أكل الإنسان لأعدائه أفضل من تركه ثمرة انتصاره للغربان والزِّيغان، ولكنّكم، أيّها السادة، لا تريدون أكل أصدقائكم، وأنتم تعتقدون أنّكم ستضعون يسوعيًّا على السفود مع أنّ هذا الذي ستَشْوون هو نصيركم وعدوّ عدوّكم، وأنا ولدت في بلدكم، والسيد الذي ترون هو مولاي، وقد قتل يسوعيًّا فضلًا عن بعده من اليسوعية، وهو يلبس ما سلب منه، وهذا هو سبب خطئكم، فخذوا هذه الحُلّة لأول حاجز من مملكة اليسوعيين تحقيقًا لما قلت لكم، واسألوا عن صحّة قتل مولاي لضابط يسوعي، ولا

Twitter: @ketab_n

يستلزم هذا غير زمن قصير، فإذا وجدتم أنّني كذبتكم الحديث أمكنكم أن تأكلونا في كلّ وقت، وإذا ما رأيتم أنّني قلت الحقيقة عفوتم عنّا وأنتم العارفون جيّدًا بمبادئ الحقوق العامّة وبالأخلاق والقوانين».

وجد الأوريّون هذا القول موافقًا للصواب كثيرًا فبعثوا اثنين من وجهائهم على جناح السرعة ليأتيا بالخبر الصحيح، ويتم المبعوثان رسالتهما بإخلاص، ولا يلبثان أن يعودا حاملين أنباء حسنة، ويفكّ الأوريّون قيود أسيريْهم، ويعاملونهما بضروب التكريم، ويقدمون إليهما فتيات ويعطونهما مرطبات ويرافقونهما حتّي حدود بلادهم، هاتفين مسرورين: «ليس يسوعيًّا مطلقًا! ليس يسوعيًّا مطلقًا!».

ولم ينفكّ كنديد يعجب من سبب نجاته، فيقول: «يا لَه من شعب! يا لَهم من أناس! يا لَها من طبائع! لو لم أكن سعيدًا بطعني أخا الآنسة كونيغوند من وسطه بسيفي لأُكِلتُ لا ريب، ولكن الطبيعة الخالصة طيّبة بعد ذلك كلّه، وذلك ما دام أولئك الناس أكرموني ألف إكرام بعد أن عرفوا أنّني لست يسوعيًّا، وذلك بدلًا من أكلي».

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

الفصل السابع عشر
وصول كنديد وخادمه
إلى بلد إلدورادو وما شاهدا فيه

وصلا إلى حدود الأوريّون فقال ككنبو لكنديد: «ترى أنّ نصف الكرة الأرضية هذا ليس خيرًا من الآخر، فاسمع نصيحتي أن نعود إلى أوربّة من أقصر طريق»، فقال كنديد: «كيف نعود إليها وأين نذهب؟ وإذا ما ذهبت إلى بلدي وجدت البلغار والآبار يذبحون كلّ إنسان، وإذا رجعت إلى البرتغال أحرقت فيها، وإذا بقيت في هذا البلد لم أضمن عدم وضعي على السفود في كلّ حين، ولكن كيف أغادر قسم العالم الذي تسكنه كونيغوند؟».

وقال ككنبو: «لنتحوّل إلى كاين، ففيها نجد فرنسيين يذهبون نحو كلّ صوب، ويمكنهم أن يساعدونا، وقد يرحمنا الله».

ولم يكن الذهاب إلى كاين أمرًا سهلًا، أجل، إنّهما عرفا أيّ ناحية يتوجّهان إليها تقريبًا، غير أنّ الجبال والأنهار والوهاد واللصوص والمتوحّشين كانت عوائق هائلة في كلّ مكان، وقد هلك فرساهما

Twitter: @ketab_n

تعبًا، وقد نفد زادهما فتغذيا بفواكه بريّة شهرًا كاملًا، وأخيرًا كانا عند نهر صغير قائم على طرفه شجر نارجيل[1]، فكان لهما به تقويم لأوَدهما وتقوية لآمالهما.

ولكنديد قال ككنبو الذي كان يُسدي بنصائح صالحة كالتي تُسدي العجوز: «صرنا لا نستطيع السير، فقد مشينا بما فيه الكفاية، وأبصر على الضفّة قاربًا خاليًا، فلنملأْه نارجيلًا، ولنرم أنفسنا في هذا الزورق الصغير، ولنسرْ مع الجَرَيان، فالنهر يؤدّي إلى مكان مسكون دائمًا، وإذا لم نجد أشياء مستحبّة وجدنا أشياء جديدة»، فقال، كنديد: «لنذهب، ولنتوكلْ على الله».

سارا مع التيار بضعة فراسخ بين الضفاف التي كانت زاهرة تارة وجافة أحيانًا وسهلة مستوية تارة ووعرة منحدرة أحيانًا، وكان النهر يتّسع باستمرار، وأخيرًا توارى تحت قبّة من الصخور الهائلة التي كانت تناطح السماء، وقد كان لدى السائحين من الجرأة ما استسلما معه للتيار تحت هذه القبّة، ويحملهما النهر الضيق في هذا المكان بسَرَع ودويّ هائلينِ، ويُبصران النور ثانية بعد أربع وعشرين ساعة، غير أنّ قاربهما تكسر على الصخر، فوجب زحفهما من صخرة إلى صخرة مسافة فرسخ كامل، وأخيرًا اكتشفا أفقًا واسعًا تجاوره جبال منيعة، وكان البلد مزروعًا عن بهجة كما كان مزروعًا عن حاجة، وكان النافع في كلّ مكان مقترنًا بالمُمتع، وكانت الطرق زاخرة، وإن شئت فقل مزخرفة، بعربات رائعة شكلًا ساطعة مادّة،

(١) النارجيل: الجوز الهندى.

Twitter: @ketab_n

حاملات رجالًا ونساءً على جانب عجيب من الجمال، مجرَّرات بكبَاش سمان حمر تفوق بسرعتها أروع أفراس الأندلس وتطوان ومِكناسة.

ويقول كنديد: «ومع ذلك فإنّ هذا البلد أفضل من فستفالية»، وينزل إلى البرّ مع ككنبو قريبًا من أول قرية لاقَياها، وكان بعض أولاد القرية اللابسين إستبرقًا[1] ممزّقًا يلعبون بمطثّة[2] عند مدخل الضيعة، فيتلهّى رجلًا العالم الآخر بالنظر إليهم، وكانت مطثاتهم قطعًا واسعة بعض الاتساع مدورة صفرًا حمرًا خضرًا لامعة لمعانًا عجيبًا، ويرغب السائحان في التقاط بعضها، فهي من ذهب وزمرد وياقوت ويصلح أصغرها لأعظم زينة في عرش المغول، ويقول ككنبو: «لا ريب في أنّ هؤلاء الصبيان أبناء لملك البلد يلعبون بالمطثة الصغيرة»، ويظهر في هذه الساعة معلم القرية ليدخلهم إلى المدرسة، ويقول كنديد: «هذا هو معلم البيت المالك».

ويترك صغار الصعاليك لعبهم من فورهم، ويتركون على الأرض مطثاتهم وجميع ما يصلح لتسليتهم، ويجمعها كنديد، ويهرع إلى المعلم ويقدّمها إليه بتواضع، ويخبره بالإشارات أنّ أصحاب السمو الملكي أولئك نسوا ذهبهم وجواهرهم، ويبتسم معلم القرية، ويرميها على الأرض، وينظر إلى وجه كنديد، ذات دقيقة، مع كثير حيرة، ويستمرّ على سيره.

---

(١) الإستبرق: الثياب من ذهب.

(٢) المطثة: قرص من خشب وغيره يلعب به الصبيان.

Twitter: @ketab_n

ولم يفت السائحَين أن يجمعا الذهب والياقوت والزمرد، ويقول كنديد صارخًا: «أين نحن؟ لا بدّ من أن يكون أبناء ملوك هذا البلد حَسَني التربية ما داموا يعلمون ازدراء الذهب والحجارة الكريمة»، وكان ككنبو بالغ الحيرة ككنديد، وأخيرًا يدنوان من منزل القرية الأول الذي كان مبنيًّا كقصر من قصور أوربّة، وكان يوجد جمع كبير مزدحم حول بابه وجمع أكبر منه داخله، وكانت تُسمَع موسيقا بالغة الرخامة، وكانت تُشَم رائحة طبخ لذيذة، ويقرب ككنبو من الباب، ويسمع القوم يتكلّمون بالبيروية التي هي لغة أمّه، فكلٌّ يعلم أنّه ولد في توكومان بقرية لا يعرف فيها غير هذه اللّغة، ويقول لكنديد: «سأقوم بعمل ترجمان لك، لندخل، هذه حانة».

ولم يلبث فتيا النزل وبنتاه، اللابسون إستبرقًا والمعقود شعرهم بشُرُط، أن دعوهما إلى الجلوس حول المائدة، وتُقدَّم حساءات أربعة مضاف إلى كلّ واحد منها ببغاوان ونسر مسلوق يزن مئتي رطل وقردان مشويان لذيذان، وثلاثمئة نُغَير في طبق واحد، وستمئة عصفور طنّان في طبق آخر، وتقدّم يخنة شهيّة وحلاوى فاخرة، وكلّ في صحاف من بلور، وكان فتيان النزل وخوادمه يصبون كثيرًا من المشروبات المصنوعة من قصب السكر.

وكان معظم الضيوف من التجار والحوذية، وكانوا كلّهم بالغي الأدب فيطرحون بعض الأسئلة على ككنبو برصانة بالغة التحفظ ويجيبون عن أسئلته بما يرضيه.

ولما تمّ تناول الطعام رأى ككنبو، كما رأى كنديد، أن يدفع

Twitter: @ketab_n

الحساب بأن يطرح على المائدة قطعتي ذهب من القطع الكبيرة التي التقطها، فأغْرَب المضيف والمضيفة في الضحك وأمسكا بأطرافهما زمنًا طويلًا، وأخيرًا تماسكا فقال المضيف: «نراكما، يا سيدي، من الأجانب، ولم نتعوّد رؤية الأجانب، فاغفرا لنا ضحكنا من تقديمكما حصباء من طرقنا العامة دفعًا للحساب، أجل، ليس لديكما شيء من نقود البلد لا ريب، ولكن ليس من الضروري حيازتكما ذلك حتّى تتغدّيا هنا، فالحكومة هي التي تدفع إلى جميع الفنادق القديمة نفعًا للتجارة، وقد تناولتما طعامًا حقيرًا هنا، وذلك لأنّ هذه القرية فقيرة، ولكنّكما ستُقبَلان في كلّ مكان آخر بما أنتما أهل له»، وكان ككنبو يوضح لكنديد جميع أقوال المضيف، فيصغي كنديد إليها بمثل ما كان يساور صديقه ككنبو من العجب والدهش حين ترجمته لها، ويقول كلّ منهما لصاحبه: «إذن، ما هذا البلد المجهول لدى جميع بقيّة العالم والذي تختلف الطبيعة فيه عن طبيعة بلادنا اختلافًا كبيرًا؟ إنّ من الراجح أن يكون كلّ شيء في هذا البلد على ما يرام، وذلك لضرورة وجود بلد من هذا الطراز حتمًا، وعلى ما كان الأستاذ بنغلوس يقول فقد لاحظت، في الغالب، أنّ كل شيء في فستفالية يسير سيرًا سيّئًا».

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

الفصل الثامن عشر
ما شاهداه في بلد إلدورادو

أظهر ككنبو فضوله لمضيفه، فقال له هذا: «إنّني شديد الجهل، وأراني راضيًا عن هذا، وإنّما يوجد هنا شيخ اعتزل البلاط فيعد أعلم من في المملكة وأكثر من فيها ميلًا إلى بيان أفكاره»، وقد أتى بككنبو إلى الشيخ من فوره، وصار كنديد لا يمثّل سوى دور ثانوي، ورافق خادمه، ويدخلون منزلًا بسيطًا إلى الغاية، وذلك لأنّ الباب لم يكن من غير الفضّة، ولأنّ ألواح سقف الغرف وجدرانها لم تكن من غير الذهب، ولكن من صنع بالغ الذوق فلا تمّحي أمام أغنى الألواح، أجل، إنّ غرفة الانتظار كانت مرصّعة بالياقوت والزمرد، ولكن ما عليه كلّ شيء من ترتيب ونظام كان يعوّض من تلك البساطة المتناهية.

ويستقبل الشيخ الأجنبيّينِ على متكأ محشوّ بريش صغار الطير، ويقدّم إليهما مشروبات بآنية من ألماس، ثم يشبع حبّهما للاطّلاع بالكلمات الآتية:

Twitter: @ketab_n

«بلغت من العمر ١٧٢ سنة، وقد علمت من والدي المرحوم، الذي كان إسطبلي الملك، خبر ثورات البيرو المدهشة التي شاهدها، وقد كانت المملكة التي نحن فيها الآن جزءًا من وطن الإنكا السابق، من وطن هؤلاء الذين خرجوا منه بلا تروٍّ لفتح قسم من العالم فأبادهم الإسبان أخيرًا.

«وقد ظهر أمراء أسرتهم الذين بقوا في بلدهم الأصلي أكثر حكمة، فأمروا، بموافقة الأمّة، ألّا يخرج أيّ ساكن من مملكتنا الصغيرة مطلقًا، وهذا ما حفظ لنا صفاءنا وسعادتنا، ويعرف الإسبان هذا البلد معرفة مبهمة، ويسمونه إلدورادو، وممّا حدث منذ نحو مئة سنة أن دنا من هذا البلد إنكليزي اسمه الفارس رالِه، لكن بما أنّنا مُحاطون بجبال وعرة وهُويّ فإنّنا بقينا حتّى الآن في مأمن من جشع أمم أوربّة التي تتّصف بطمع لا يمكن أن يُتصوّر في حصباء بلدنا وطينه فتقتلنا على بكرة أبينا نيلًا لهما».

طال الحديث، وقد دار حول شكل الحكومة وحول الطبائع والنساء والتمثيل الروائي والفنون، وأخيرًا جعل كنديد، الذي كان يتذوّق ما بعد الطبيعة دائمًا، ككنبو يسأل عن وجود دين في البلد.

احمرّ وجه الشيخ قليلًا، وقال: «كيف يساوركما شكٌّ في ذلك؟ أتظنّان أنّنا ناكرو النعمة؟» وسأل ككنبو بتواضع عن دين الإلـدورادو، فاحمرّ وجه الشيخ مرّة أخرى وقال: «أيمكن أن يوجد ديانان؟ أعتقد أنّنا نعتنق دين جميع الناس، فنعبد الله من المساء إلى الصباح»، فقال ككنبو الذي كان يقوم، دائمًا، بترجمة

Twitter: @ketab_n

ريب كنديد: «أتعبدون إلهًا واحدًا فقط؟»، فقال الشيخ: «لا يوجد إلهان، ولا ثلاثة، ولا أربعة كما هو ظاهر، وأعترف لك بأنّ رجال عالمكما يضعون أسئلةً بالغة الغرابة»، ولم يتعب كنديد من سؤال هذا الشيخ الصالح، فأراد أن يعرف كيف يدعون الله في إلدورادو، فقال الحكيم الصالح الجليل: «نحن لا ندعوه مطلقًا، فلا يوجد ما نسأله أن يعطينا إيّاه، وقد أنعم علينا بكلّ ما نحتاج إليه، وإنّما نشكر له دائمًا»، ويبلغ كنديد من الفضول ما يريد معه أن يرى قساوسة، فيسأل عن مكانهم، فيبتسم الشيخ الصالح ويقول: «كلنا قساوسة يا صاحبيّ، وينشد الملك وجميع أرباب الأُسر، محتفلين، تسابيح في كلّ صباح، ويرافقهم في ذلك خمسة آلاف، أو ستّة آلاف، من الموسيقيّين»، «ماذا! ألا يوجد عندكم، مطلقًا، رهبان يعلمون ويجادلون ويحكمون ويكيدون ويحرقون مَن ليسوا على رأيهم؟»، ويقول الشيخ: «نعد من المجانين لو كان عندنا ذلك، فكلّنا هنا على رأي واحد، ولا نعرف ما تعني برهبانكم»، ويظلّ كنديد في حال وجد بهذا الكلام، ويقول في نفسه: «هذا يختلف كثيرًا عن فستفالية وعن قصر السيد البارون، ولو رأى صديقنا بنغلوس إلدورادو لكفّ عن الادّعاء بأنّ قصر ثندرتن ترنك خير ما على الأرض، فالحقّ أنّ على الإنسان أن يسيح».

أمر الشيخ الصالح، بعد هذا الحديث الطويل، بأن تعد عربة ذات ستة كباش وجعل مع السائحين اثني عشر من خَدَمه ليأخذوهما إلى البلاط، وقد قال لهما: «لي معذرة في كون سني تحرمني شرف

Twitter: @ketab_n

مرافقتكما، وسيقابلكما الملك بما لا يسيئكما، وستغفران للبلد عاداته لا ريب إذا ما وجدتما فيه أناسًا لا يروقونكما».

ويركب كنديد وككنبو العربة، وتُغِذُّ الكِبَاش الستة في العدو، ويبلغ قصر الملك، الواقع في طرف العاصمة، في أقلّ من أربع ساعات، ويبلغ ارتفاع الرتاج[1] ٢٢٠ قدمًا، ويبلغ عرضه مئة قدم، ومن المتعذّر أن يعبر عن الموادّ التي أنشئ منها، ويمكن أن يبصر بما فيه الكفاية سُمُوَّه العجيب الذي يجب أن يكون له تلك الحصباء وذلك الرمل اللذين نسميهما ذهبًا وحجارة كريمة.

استقبل كنديدَ وككنبو عشرون من فتيات الحرس الحسان عند نزولهما من العربة، ويأخذنهما إلى الحمامات ويلبسنهما حللًا من زغب صغار الطير، ثم يأتي بهما إلى جناح جلالته كبار ضباط التاج وضابطاته، وذلك بين صفين مشتمل كل منهما على ألف موسيقي وفق العادة المتّبعة، فلمّا اقتربا من بهو العرش سأل ككنبو موظفًا كبيرًا عن الوضع الذي يُتّخذ لتحية الملك، وذلك: هل يجب الركوع أو السجود، وهل يجب وضع اليدين على الرأس أو على الخلف، وهل يجب لعق غبار الردهة، والخلاصة أنّه سأله عن المراسم، فقال الموظّف الكبير: «إن العادة تقضي بأن يُعانَق الملك وأن يُقبّل من خدّيه»، ويُلقي كلّ من كنديد وككنبو ذراعيه حول عنق جلالته الذي استقبلهما بكلّ ما يُتصوّر من اللّطف والذي رجا منهما بأدب أن يتناولا العشاء.

---

(١) الرتاج: الباب العظيم.

Twitter: @ketab_n

وريثما يَحِلُّ وقت العشاء أُرِيَا المدينة والمباني العامّة التي تناطح السحاب والأسواق المزينة بألف عمود، وعيون الماء الزلال، وعيون ماء الورد، وعيون مشروبات قصب السكر الجارية باستمرار في أماكن عظيمة مبلَّطةٍ بضرب من الجواهر التي تنشر مثل رائحة القرنفل والقرفة، وسأل كنديد أن يزور دار القضاء فقيل له إنّها غير موجودة، فلا توجد خصومات ولا مرافعات مطلقًا، ويسأل عن السجون فيقال له إنّها غير موجودة أيضًا، ودار العلوم هي أكثر ما أثار حيرته وأوجب سروره، ففي هذه الدار رأى رواقًا بالغًا من الطول ألفي خطوة زاخرًا بالأدوات الرياضية والآلات الطبيعية.

قضيا جميع ما بعد الظهر في الطواف في نحو جزء من أجزاء المدينة الألف، فأعيدوا إلى الملك، ويجلس كنديد حول المائدة بين جلالته وخادمه ككنبو وكثير من السيدات، ولم يقع، قطّ. خير من هذا قصفًا، ولم يحدث حين العشاء، قطّ، أكثر من جلالته مزحًا، وكان ككنبو يوضح لكنديد دعابات الملك الرائعة، فتبدو من الكلم الطيب على الرغم من ترجمتها، ولم يكن هذا الذي دهش له كنديد أقلّ الأمور التي دُهش لها.

قضيا شهرًا في دار الضيافة، وما انفك كنديد يقول لككنبو: «أجل، إنّ القصر الذي ولدت فيه لا يُقاس بالبلد الذي نحن فيه، ولكن الآنسة كونيغوند ليست هنا، ولا بدّ من أن تكون لك صاحبة في أوربّة، فإذا ما بقينا هنا غدونا ككلّ إنسان آخر، وإذا ما عدنا إلى عالمنا مع اثني عشر كبشًا محملًا من حصباء إلدورادو بَدَونا أغنى

Twitter: @ketab_n

من جميع الملوك معًا وصرنا لا نخشى قضاة تفتيش وسهل علينا استرداد الآنسة كونيغوند».

راق هذا القول ككنبو، وما كان يمازج الاثنين السعيدين كثيرًا من حبّ التنقُّل والمباهاة أمام الأصدقاء وعرض ما رأيا في الرحلات، شأن غيرهما، جعلهما يعزمان على عدم البقاء سعيدين، وذلك بأن يستأذنا جلالته في الرحيل.

ويقول الملك لهما: «هذه حماقة، نعم، أعرف أنّ بلدي صغير، ولكنّ الإنسان إذا ما رضي عن مكان وجب أن يبقى فيه، ولا حقّ لي في إمساك الأجانب لا ريب، وهذا طغيان لا تقرّه أخلاقنا ولا قوانيننا، فجميع الناس أحرار، واذهبا متى شئتما، بيد أنّ الخروج صعب جدًّا، ويتعذّر السير على عكس النهر السريع الذي وصلتم عليه بمعجزة والذي يجري تحت قباب من صخر، وتبلغ الجبال المحيطة بمملكتي من الارتفاع عشرة آلاف قدم، وهي قائمة كالجُدُر، ويشغل كلّ منها مساحة تزيد على عشرة فراسخ، ولا يمكن أن يُنزَل منها بغير هُويّ، ومع ذلك أراكما عازمين على السفر عزمًا مطلقًا، فسآمر مديرى الآلات أن يصنعوا منها واحدة تنقلكما بسهولة، فإذا تمّ إيصالكما إلى الناحية الأخرى من الجبال لم يمكن أحدًا أن يرافقكما، وذلك لأنّ رعاياي قطعوا على أنفسهم عهدًا بألّا يخرجوا من نطاقهم مطلقًا، وهم من الحكمة ما لا ينقضون معه ميثاقهم، واسألاني كلّ ما تريدان فضلًا عن ذلك»، فقال ككنبو: «لا نسأل جلالتك غير بضعة كباش محمّلة زادًا وحصًى وطينًا من

Twitter: @ketab_n

البلد»، ويضحك الملك، ويقول: «لا أستطيع أن أفهم السرّ فيما يحمله أهل أوربّة من ذوق لطيننا الأصفر، فخذا منه ما تريدان، وأكثر ما منه تنتفعان».

ويأمر مهندسيه من فوره بصنع آلة لرفع هذين الرجلين العجيبين خارج المملكة، ويعمل فيها ثلاثة آلاف عالم طبيعي، وتصير معدّة في نهاية أسبوعين، ولم تكلِّف أكثر من عشرين مليون جنيه إسترليني، ووضع كنديد وككنبو على الآلة، وأحضر كبشان كبيران أحمران مسرجان ملجمان ليتخذا مطيةً لهما بعد مجاوزة الجبال، كما أحضر عشرون كبش أثقال محمّلة زادًا، وثلاثون محمّلة هدايا من أمتع ما في البلد، وخمسون محمّلة ذهبًا وجواهر وألماسًا، ويعانق الملك العيّارين[1] عناق حنان.

ومن المناظر الرائعة سفرهما والنمط البديع الذي رفعا به هما وكباشهما على ذُرا الجبال، ويستأذنهما العلماء الطبيعيّون في الانصراف بعد أن جعلوهما في مأمن، ولم يبق لكنديد مطمع آخر وغرض آخر غير الذهاب لعرض كباشه على الآنسة كونيغوند، وقد قال: «لدينا ما ندفعه إلى حاكم بوينوس أيرس ثمنًا للآنسة كونيغوند إذا أمكن اشتراؤها، وَلْنَسِر نحو كاين، ولنبحر، ثم نرى أيّ مملكة نستطيع أن نبتاع».

---

(١) العيار: الكثير التجول والطواف مع سيره وفق هواه.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

الفصل التاسع عشر
ما وقع لهما في سورينام
وكيف تعرّف كنديد بمارتن

كان اليوم الأول الذي قضاه السائحان سارًّا، ووجدا مشجّعًا لهما في شعورهما بأنّهما حائزان لكنوز تزيد على ما يمكن آسية وأوربّة وإفريقية أن تجمعه، ويكتب كنديد اسم كونيغوند على الأشجار عن وجْدٍ، ويغوص في اليوم الثاني اثنان من الكباش في المناقع ويغرقان مع أحمالهما، ويهلِك بعد أيام قليلة كبشان آخران تعبًا، ثم يهلِك في الصحراء سبعة أو ثمانية جوعًا، وتمضي بضعة أيام فتسقط كباش أخرى في الهُويّ، وأخيرًا لا يبقى لهما غير كبشين بعد سير مئةِ يوم، فيقول كنديد لككنبو: «ترى، يا صاحبي، كيف أنّ ثرواتِ هذه الدنيا زائلة، ولا يوجد ما هو ثابت غير الفضيلة والسعادة بلقاء الآنسة كونيغوند»، ويقول ككنبو: «أوافق على ذلك، ولكنّه بقي لنا كبشانِ عليهما من الكنوز أكثر ممّا يمكن أن يحوزه ملك إسبانية في أيّ وقت كان، وأرى من بعيد مدينة يخيل إليّ أنها سورينام التي يملكها الهولنديّون، والآن نجن في نهاية متاعبنا وبداءة سعادتنا».

Twitter: @ketab_n

ويدنوان من المدينة فيلاقيان زنجيًّا مستلقيًا على الأرض لم يستر غير نصفه بثوب، أي بسروال من نسيج أزرق، وكان يُعوِز هذا المسكين ساقه اليسرى ويده اليمنى، ويقول له كنديد بالهولندية: «والآن، ربّاه! ما تعمل هنا في الحال الهائلة التي أراك عليها يا صاحبي؟»، ويجيب الزنجي بقوله: «أنتظر التاجر الشهير مولاي السيد وَنِدِردِنْدُر»، ويقول كنديد: «وهل السيد وندردندر هو الذي عاملك هكذا؟» ويقول الزنجي: «أجل، يا سيدي، إنّ من العادة أن نُعطى كثياب سروالًا من القطن مرتين في كلّ عام، فإذا حدث أن نَتَش المِسحق إصبع الواحد منّا في أثناء العمل في معمل السكر قطعت يده، وإذا حاول الواحد منّا أن يفرّ قطعت ساقه، وقد وقعت في الحالين، فهذا هو الثمن الذي تأكلون به سكرًا في أوربّة، ومع ذلك فإنّ أمّي قالت لي في ساحل غِنية حينما باعتني بعشرة إيكويات بتاغونية: «أي ولدي العزيز اشكر لأصنامنا واعبدها دائمًا، فبفضلها ستعيش سعيدًا، ولك الشرف بأن تكون عبدًا لسادتنا البيض، وبذلك تغني أبويك»، آه! لا أعرف هل أغنيتهما، ولكنّهما لم يغنياني، فالكلاب والقردة والببغاوات أقلّ شقاء منّا ألف مرّة، وفي كلّ أحد يقول لي الأصنام الهولنديّون الذين غيّروا ديني إنّنا كلّنا أبناء آدم، لا فرق في ذلك بين البيض والسود، ولست نَسَّابًا، ولكن إذا كان هؤلاء الوعاظ يقولون الحقّ كنّا أبناء عم لَحًّا[1] والواقع أنّك تسلّم بأنّ الإنسان لا يستطيع أن يعامل أقرباءه بأفظع من هذا».

(١) اللح: اللاصق النسب.

Twitter: @ketab_n

ويصرخ كنديد قائلًا: «إنّك لم تتنبّأ بهذا المكروه يا بنغلوس! فإذا صحّ هذا يجب أن أعدل عن تفاؤلك»، يقول ككنبو: «ما التفاؤل؟»، ويقول ككنبو: «واهًا! هو السَّورة التي يُعَدّ بها كلّ شيء حسنًا مع معاكسة كلّ شيء لنا»، ويسكب عبرات إذ ينظر إلى الزنجي، ويدخل سورينام وهو يبكي.

وأول شيء استعلماه هو وجود مركب في الميناء يمكن إرساله إلى بوينوس أيرس، والشخص الذي خاطباه في ذلك هو ربّان إسبانيّ عرض عليهما صفقة مناسبة، وجعل لهما موعدًا في إحدى الحانات وذهب كنديد والوفي ككنبو مع كبشيهما لانتظاره هنالك.

وبما أنّ قلب كنديد على شفتَيه فقد قصّ على الإسباني خبر مغامراته، واعترف له بأنّه يريد خطف الآنسة كونيغوند، فقال الربّان: «سأحترز من أخذكما إلى بوينوس أيرس لما يُوجبه هذا من شنقي وشنقكما، فالحسناء كونيغوند حظيّة مولانا المفضّلة»، فنزل هذا كالصّاعقة على كنديد، وبكى طويلًا، ثم انفرد بككنبو جانبًا وقال له: «إليك ما يجب أن تصنعه يا صديقي العزيز: يوجد في جيوب كلّ منّا من الألماس ما يعدل خمسة ملايين أو ستة ملايين، وتعد أبرع منّي، فاذهب إلى بوينوس أيرس وأحضر الآنسة كونيغوند، فإذا ما وضع الحاكم بعض العراقيل فأعطه مليونًا، وإذا لم يُذعن فأعطه مليونين، وأنت لم تقتل قاضيًا تفتيشيًّا قطّ، ولن يحترز منك مطلقًا، وسأجهز مركبًا آخر، وسأذهب لانتظارك في البندقيّة، فهذا بلدٌ حرٌّ لا يُخشى فيه شيء، لا يُخشى فيه بلغار ولا آبار ولا يهود ولا قضاة

Twitter: @ketab_n

تفتيش»، ويستحسن ككنبو هذا القرار الحكيم، ويُحزنه أن ينفصل عن سيد صالح أصبح صديقه الودود، بيدَ أنّ ما ساوره من لذّة غدوّه نافعًا له تغلّب على ألم مغادرته له، ويتعانقان وأعينهما تفيض دمعًا، ويوصيه كنديد بألّا ينسى العجوز الصالحة مطلقًا، ويسافر ككنبو في اليوم نفسه، كان ككنبو هذا رجلًا طيّبًا جدًّا.

ويمكث كنديد بسورينام أيامًا أُخر، وينتظر عزم ربّان آخر ليأتي به، وبالكبشين اللذين بقيا له، إلى إيطالية، ويختار خدمًا، ويشتري كلّ ما يحتاج إليه في سَفرة طويلة، وأخيرًا يأتي لمقابلته السيد وندردندر المالك لمركب ضخم، فيسأله كنديد: «كم تريد لإيصالي إلى البندقية رأسًا مع خدمي وأمتعتي وهذين الكبشين؟»، فيطلب الربّان عشرة آلاف قرش، ولم يتردّد كنديد.

ويقول الفطين وندردندر في نفسه: «وي! وي! إنّ هذا الغريب يعطي عشرة آلاف قرش دفعة واحدة! لا بدّ من أنّه بالغ الغنى»، ثمّ يعود بعد هنيهة ويخبره بأنّه لا يستطيع السفر بأقلّ من عشرين ألفًا، ويقول كنديد: «حسنًا، ستقبضها».

ويقول التاجر مخافتًا: «ياه! إنّ هذا الرجل يعطي عشرين ألف قرش بسهولة كالتي يعطي بها عشرة آلاف»، ويعود ثانية ويقول كنديد: «ستقبض ثلاثين ألفًا إذن».

ويقول التاجر الهولندي في نفسه مرّة أخرى: «وي! وي! لا قيمة لثلاثين ألف قرش عند هذا الرجل، ولا ريب في أنّ الكبشينِ يحملانِ كنوزًا واسعة، فلا أُمعن في الإلحاف، ولنقبض ثلاثين ألف

Twitter: @ketab_n

قرش أولًا، ثم نرى»، ويبيع كنديد ألماستين صغيرتين فتساوي صغراهما أكثر مما طلب الربّان، ويدفع إليه سلفا، ويرفع الكبشان إلى ظهر المركب، ويتبعهما كنديد بمركب صغير وصولًا إلى السفينة الراسية، ولا يضيع الربان وقته، فيُقلِع[1] السفينةَ، ويرفع المرساة، وتساعد الريح السفينة فلم تلبث أن توارت عن عينيْ كنديد الولْهان الحيران، فيصرخ قائلًا: «واهًا! هذه من الحِيل الجديرة بالعالم القديم»، ويعود إلى الشاطئ متألّمًا، ولا غَرو، فهو قد أضاع في آخر الأمر ما يجعل له غِنَى عشرين ملكًا.

ويذهب إلى القاضي الهولندي، ويقرع الباب بشدّة عن اضطراب، ويدخل، ويعرض مغامراته، ويرفع صوته بما لا ينبغي أن يصنع، ويغرِّمه القاضي عشرة آلاف قرش لما أحدث من ضوضاء، ثم يستمع له بأناة، ويعِده بالنظر في قضيته فور رجوع التاجر، ويحمِّله عشرة آلاف أخرى من القروش نفقات للجلسة.

أورد هذا الأسلوب كنديد موارد اليأس، والحقّ أنّه كابد من المصائب ما هو أشدّ إيلامًا من ذلك ألف مرّة، غير أنّ ما لقي من فتور القاضي والربّان الذي سرقه أحرق كبده وأغرقه في بحر من الملنخوليا السوداء، ويتمثّل خبث الناس على أبشع صورة، ويتغذّى بأفكار كئيبة، وأخيرًا وُجد مركب فرنسيّ على وشْك السفر إلى بوردو، وبما أنّه لم يكن عنده كباش محمّلة ألماسًا يُوسِقُه به فقد استأجر حُجيرة بمقابل مقبول، وقد أعلن في المدينة أنّه يدفع

(١) أقلع الربان السفينة: رفع قلعها أي شراعها.

Twitter: @ketab_n

إلى رجل صالح يرغب في السفر معه أجرة الانتقال مع الطعام وألفي قرشٍ على أن يكون هذا الرجل أشدّ الناس تبرُّمًا من حاله في الإقليم وأكثرهم تعسًا.

ويحضر أمامه جمهور من الطالبين لا يمكن أن يسعه أسطول، ويرغب كنديد في اختيار من ينِمّ مظهره على مطلوبه فيميز عشرين شخصًا بدَوا له أُنَساء، وهم الذين كانوا يدّعون أنّهم يستحقّون التفضيل، ويجمعهم كنديد في حانة ويقدّم إليهم عشاء على أن يحلف كلّ منهم أن يروي قصته بإخلاص واعدًا أنّه يختار من يظهر له أنّه أدعاهم إلى الشفقة وأنّه أكثرهم استياءً من حاله بما في كلّ هذه الكلمة من معنى، وذلك مع الإنعام على الآخرين بقليلٍ من النقد.

وتدوم الجلسة حتّى الساعة الرابعة من الصباح، وبينا كان كنديد يستمع إلى جميع مغامراته تذكّر ما كانت العجوز قد قالته له أثناء السفر إلى بوينوس أيرس، وما كان من مراهنتها على عدم وجود شخص في السفينة لم يبتلَ بمصائب كبيرة جدًّا، وكان يتمثّل بنغلوس في كلّ مغامرة تُروى له، فقال: «كان بنغلوس هذا يجد عسرًا في إثبات مذهبه، وأودّ لو كان موجودًا هنا، فالحقّ أنّ كلّ شيء إذا كان حسنًا كان هذا في إلدورادو، لا في بقيّة العالم»، وأخيرًا يقع خياره على عالم فقير عمل عشر سنين لحساب بائعي الكتب في أمستردام، فقد حكم بأنّه لم توجد في الدنيا حرفة أدعى إلى السأم من هذه.

وكان هذا العالم، الذي هو رجل صالح أيضًا، قد سلب من قِبَل

Twitter: @ketab_n

امرأته، وضرب من قبل ابنه، وترك من قبل ابنته التي اغتصبت من قبل برتغالي طوعًا، وكان قد حرم وظيفة صغيرة يقوم عيشه عليها، وكان مبشّرو سورينام يضطهدونه لأنّهم يظنونه من السوسنيان[1]، أجل، يجب أن يعترف بأنّ الآخرين مثله شقاءً على الأقلّ، غير أنّ كنديد كان يأمل أن يزيل هذا العالِم همّه في أثناء السفر، وقد وجد منافسوه الآخرون كلّهم أنّ كنديد جار عليهم جورًا كبيرًا، فهدّأهم كنديد هذا بمنحه كلّ واحدٍ منهم مئةَ قرش.

(١) السوسنيان: ناكرو الثالوث ولاهوت المسيح (م).

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

الفصل العشرون
ما وقع لكنديد ومارتن في البحر

إذن، أبحر الشيخ العالم مارتن مع كنديد إلى بوردو، وكلاهما رأى كثيرًا، وألم كثيرًا، ولو وجب على السفينة أن تقلع من سورينام إلى اليابان مارّة من رأس الرجاء الصالح، لكان لديهما ما يتكلّمان عنه من الشرّ الأدبي والشرّ المادّي في أثناء جميع الرحلة.

ومع ذلك فقد كان لكنديد مزيّة كبيرة على مارتن، وذلك أنّه كان يأمل، دائمًا، أن يرى الآنسة كونيغوند ثانية وأنّه لم يكن عند مارتن شيء يأمله، ثم كان لديه ذهب وألماس فضلًا عن ذلك، وهو مع كونه أضاع مئة كبش ثمين أحمر محمّلٍ أعظم كنوز الأرض، وهو مع كونه يحقد في كلّ حين على الربّان الهولندي السارق، كان إذا ما فكر فيما بقي في جيوبه، وكان إذا ما تكلّم عن كونيغوند، يميل إلى مذهب بنغلوس، ولا سيّما بعد تناول الطعام.

ويقول للعالم: «ولكن ما رأيك في جميع ذلك يا سيدي مارتن؟ وما قولك عن الشرّينِ: الأدبي والمادي؟»، ويجيب مارتن بقوله:

Twitter: @ketab_n

«إن قساوستي، يا سيدي، اتّهموني بأنّني سوسنيانيّ، ولكنّني مانويّ[1] في الحقيقة»، ويقول كنديد: «أنت تهزأ بي، عاد لا يوجد مانويّ في العالم»، ويقول مارتن: «أنا مانويّ، ولا أدري ما عملي في ذلك، ولكن لا أستطيع أن أفكّر على وجه آخر»، ويقول كنديد: «لا بدّ من وجود الشيطان في بدنك»، ويقول مارتن: «بلغ الشيطان من شدّة التدخّل في شئون هذا العالم ما يمكن أن يوجد معه في جسمي كما يوجد في أيّ مكان آخر، ولكنّني أعترف لك بأنّني، إذ ألقى نظرة على هذه الكرة أو الكُرَيّة، أرى الربّ قد تركها لبعض الموجودات الشريرة، وأستثني إلدورادو من ذلك دائمًا، فلم أر، قطّ، مدينة لم ترغب في خراب المدينة المجاورة لها، ولم أر، قطّ، أسرة لا تريد استئصال أسر أخرى، وفي كلّ مكان يلعن الضعفاء الأقوياء الذين يزحفون أمامهم، ويعاملهم، الأقوياء كقِطَاع يُباع صوفُها ولحمها، وتجد مليون قاتل مدرّب يجوب طرفي أوربّة ويمارس القتل وقطع الطرق بنظام كسبًا لعيشه، وذلك لأنّه لم ير حرفة أصلح من هذه، ويفترس الناس في المدن، التي يلوح تمتّعها بالسّلم والتي تزدهر في العلوم، حسد وهموم وقلق أشدّ من البلايا التي تعانيها مدينة محاصرة، ثم إنّ الكروب الخلفية أقسى من المصائب الظاهرة، والخلاصة أنّني أبصرت وبلوت الكثير من ذلك حتّي صرت مانويًّا».

ويجيب كنديد: «ومع ذلك يوجد ما هو صالح»، ويقول مارتن: «قد يوجد ذلك، ولكنّني لا أعرفه».

---

(١) أي من أتباع المذهب القائل بأن الخير والشر يتساويان قوة فيتنازعان الكون (م).

Twitter: @ketab_n

ويُسمع في أثناء هذا الحوار قصفُ مدفع، ويتضاعف القصف بين حين وآخر، وكلّ يتناول منظاره، فيرى على مسافة نحو ثلاثة أميال اقتتال مركبين، وتأتى بهما الريح إلى قرب السفينة الفرنسية بما يسهُل أن يُتمتَّع معه برؤية القتال، وأخيرًا أطلق أحد المركبين على الآخر قذيفة بلغت من إصابة الأسفل ما غرق بها إلى القعر، وقد استطاع كنديد ومارتن أن يَميزا مئة رجل على سطح المركب الذي يغوص، وكان جميع هؤلاء يرفعون أيديهم إلى السماء وتخرج منهم صيحات هائلة، ولم تمضِ دقيقة حتى ابتلعهم اليمّ جميعًا.

قال مارتن: «حسنًا! هذا هو الأسلوب الذي يعامل الناس به بعضهم بعضًا، فقال كنديد: «حقًّا يوجد شيء شيطاني في هذا الأمر»، وبينما كان يتكلّم على هذا الوجه أبصر شيئًا لامعًا يسبح قريبًا من سفينته، وينزل الزورق ليرى ما يمكن أن يكون هذا، فظهر أنّه أحد الكبشين، ويبلغ كنديد من السرور بلقيان هذا الكبش ما يفوق الغمّ الذي اعتراه بفقده الكباش المئة الحاملة ألماسًا ضخمًا من إلدورادو.

ولم يلبث الربّان الفرنسي أن أدرك أنّ ربّان المركب الباقي إسبانيّ وأنّ ربّان المركب الغارق قرصانٌ هولندي، وهذا هو الذي سرق كنديد، فدفنت الثروات الواسعة التي استولى عليها هذا الأثيم معه في البحر، ولم ينقذ منها غير هذا الكبش، ويقول كنديد لمارتن: «ترى كيف يعاقب على الجناية أحيانًا، فقد نال هذا الربّان الهولندي اللئيم ما يستحقّ من نصيب»، ويقول مارتن: «أجل، ولكن أكان

Twitter: @ketab_n

يجب أن يهلِك المسافرون الذين هم على مركبه أيضًا؟ فالربّ قد جازى هذا اللّص، والشيطان قد أغرق الآخرين».

ومع ذلك فقد داوم المركب الفرنسي والمركب الإسباني على سيرهما، وقد استمرّ كنديد ومارتن على حديثهما، وقد طال نقاشهما خمسة عشر يومًا، فلمّا انقضى هذا الوقت لم يكونا قد تقدّما شيئًا على ما كانا عليه في البداءة، بيد أنّهما كانا يتكلّمان ويتبادلان الآراء ويتآسيان، وكان كنديد يلامس كبشه ويقول: «يمكنني أن ألقى كونيغوند ما دمت قد لقيتك».

Twitter: @ketab_n

الفصل الحادي والعشرون
يدنو كنديد ومارتن من شواطئ فرنسة ويتحاوران

وأخيرًا تُشاهَد شواطئ فرنسة فيقول كنديد: «أكنت في فرنسة ولو مرّة واحدة يا مسيو مارتن؟»، فيقول مارتن: «أجل، لقد طفت في عدّة مديريات، فيبدو نصف السكان في بعضها مجنونًا، ويكون السّكان في بعض آخرَ منها محتالين، ويظهرون في مديريات أخرى ودعاء أغبياء على العموم، ويَلوحون في نواح أُخر نبهاء، وفي جميع هذه المديريات يكون الغرام شغلهم الأول ويكون الثلب شغلهم الثاني ويكون الكلام الفارغ شغلهم الثالث»، «ـ ولكن هل شاهدت باريس يا مارتن؟»، «ـ أجل، لقد شاهدت باريس، وهي جامعة لجميع هذه الأنواع، وهي فوضى، وهي زحْمة ينشد جميع الناس فيها لذّة فلا يجدها أحد كما ظهر لي على الأقل، وقد أقمت بها زمنًا قليلًا، وقد سُرِقت حين وصولي إليها من قبل النشّالين، وكان هذا في سوق سان جرمن، وقد ظُننت أنّني سارق فقضيت ثمانية أيام في السجن، ثم صرت مصحح مطبعة لأكسب ما أعود به إلى هولندة ماشيًا، وعرفت الأوباش الكاتبين والأوباش الدسّاسين

Twitter: @ketab_n

والأوباش المتشنِّجين، ويقال إنّه يوجد أناس مهذّبون كثيرًا في هذه المدينة، وأودّ تصديق ذلك».

ويقول كنديد: «وأمّا أنا فلا أجد في نفسي من حبّ الاطلاع ما أرغب معه في مشاهدة فرنسة، ويمكنك أن تتمثّل بسهولة كون الإنسان إذا ما قضى شهرًا في إلدورادو عاد لا يكترث لرؤية شيء في العالم غير الآنسة كونيغوند، فأنا ذاهب لانتظارها في البندقية، وسأجوب فرنسة وصولًا إلى إيطالية، ألا ترافقني؟»، ويقول مارتن: «أرافقك عن رضا بالغ، ويقال إنّ البندقية ليست صالحة لغير الأشراف من أهلها، ولكنّ الغرباء يُتقبّلون فيها قبولًا حسنًا، مع ذلك، إذا كان عندهم مال كثير، فليس عندي مال مطلقًا، وعندك مال، فسأتبعك حيثما تذهب»، ويقول كنديد: «وعلى ذكر ما نحن بصدده أسأل: أترى الأرض كانت بحرًا في البدء، وذلك كما يؤكَّد في هذا الكتاب الضخم[1] الذي يملكه ربّان السفينة؟»، ويقول مارتن: «لا أعتقد ذلك مطلقًا، كما أنّني لا أعتقد جميع الأوهام التي تروّج لدينا منذ زمن قصير»، ويقول كنديد: «ولكن ما الغاية من تكوين هذا العالم إذن؟»، ويجيب مارتن: «لاستفزازنا»، ويقول كنديد مواصلًا: «ألم تُدهش من ولع تينك الفتاتين، اللتين هما من الأوريّون، بذينك القردين، واللتين قصصت عليك نبأ مغامرتهما؟»، ويقول مارتن: «كلا، لا أجد هذا الهوى أمرًا غريبًا، فقد شاهدت من الأمور الكثيرة الخارقة للعادة ما عاد لا يبدو شيء معه خارقًا للعادة عندي»، ويقول

(١) التوراة (م).

Twitter: @ketab_n

كنديد: «أتعتقد أنّ الناس كانوا يتذابحون كما يصنعون اليوم؟ وهل كانوا في كلّ وقت كاذبين مُداجين مخادعين جاحدين سارقين واهين طائشين خسيسين حاسدين شرهين سكيرين بخلاء طُمعاء سفاكين مفترين فاسقين متعصبين منافقين أغبياء؟». ويقول مارتن: «أَوَتعتقد أنّ البيزان في كلّ وقتٍ تأكل الحمام حيثما تجدها؟»، ويقول كنديد: «أجل، لا ريب»، ويقول مارتن: «والآن! إذا كانت البيزان تتصف بذات الطبع دائمًا فلِمَ تريد أن يغير الناس طبعهم؟»، ويقول كنديد: «وي! يوجد فرقٌ كبير؛ لأنّ الإرادة...»، وبينا كان يتحاورانِ هكذا وصَلا إلى بوردو.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

الفصل الثاني والعشرون
ما وقع لكنديد ومارتين في فرنسة

لم يقض كنديد من الوقت في بوردو إلّا ما هو ضروري لبيع قليل من حصباء إلدورادو، فيجهز نفسه بكرسي جيّد ذي مقعدين، وذلك لأنّه عاد لا يستطيع الاستغناء عن فيلسوفه مارتن، وإنّما حزن كثيرًا على فراق كبشه الذي تركه لمجمع العلوم في بوردو، لهذا المجمع الذي عرض جائزة في هذه السنة لمن يكشف السبب في كون صوف هذا الكبش أحمر، وقد حُكم بهذه الجائزة لعالم من الشمال أثبت بـ $\frac{\text{أ} + \text{ب}}{\text{ي}} = \text{ج}$ أنّ الكبش يجب أن يكون أحمر، وأنّه سيموت بجُدرِي الضأن.

ومع ذلك فإنّ جميع السيّاح الذين لقيهم كنديد في حانات الطريق كانوا يقولون له: «نحن ذاهبون إلى باريس»، وكان من نتائج هذه الرغبة الشاملة أن أثير شوقه إلى رؤية العاصمة، ولم تكن بعيدة كثيرًا من طريق البندقية.

ويدخل من ضاحية سان مارسو، ويظنّ أنّه في أسوأ قرية من فستفالية.

Twitter: @ketab_n

ولم يكد كنديد يكون في فندقه حتّى أصيب بمرض خفيف ناشئ عن تعبه، وبما أنّه كان يلبس ألماسة كبيرة في إصبعه، وبما أنّه رُئِي في عجلته صندوق صغير ثقيل إلى الغاية، فإنّه لم يلبث أن رأى بجانبه طبيبين لم يستدعهما، وبضعة أصدقاء أوِدّاء لم يفارقوه، واثنتين من ذوات التقوى كانتا تعدان مرقًا له، ويقول مارتن: «أذكر أنّني كنت مريضًا، أيضًا، في رحلتي الأولى بباريس، وكنت فقيرًا جدًّا، ولم يكن عندي أصدقاء ولا تقيّات ولا أطباء، وقد شفيت».

ومع ذلك، فإنّ مرض كنديد صار خطرًا بفعل الطبّ والفصد، ويعرض عليه بلطف أحدُ المتردّدين على الحي سندًا لحامله تُدفَع قيمته في الآخرة، ولم يشأ كنديد صنع شيء من هذا، وتوكد له التقيتانِ أنّ هذا موضة[1] جديدة، ويجيب كنديد أنّه لم يكن على الموضة قط، ويعزم مارتن على إلقاء ذلك الرجل من النافذة، ويقسم الإكليريكي أنّه لن يدفن كنديد مطلقًا، ويقسم مارتن أنّه يدفن الإكليريكي إذا داوم على إزعاجهما، ويشتدّ النزاع، ويُمسكه مارتن من كتفيه ويطرده بغلظة، ويسفر هذا عن فضيحة كبيرة يُدوّن محضر عنها.

ويشفى كنديد، وفي دور نَقَهه يتعشّى عنده عُشَراء صُلّاح، ويعرض مال كثير للقمار، ويدهش كنديد من عدم ظفره بآسات مطلقًا، ولم يدهش مارتن من هذا.

---

(١) Mode.

Twitter: @ketab_n

وكان، بين من يكرمونه عن المدينة، يوجد كاهن صغير من بريغور، وكان ذا همّة دائم النشاط دائم الخدمة خالع العِذار لين العريكة سلس الخلق فيرقب الأجانب عند مرورهم، ويحدثهم عن فضائح المدينة، ويعرض عليهم ملاذًا بأيّ ثمن كان، كان أول ما صنع إتيانه بكنديد ومارتن إلى دار التمثيل حيث تُمثّل مأساة جديدة، ويجلس كنديد بجانب أناس من حاضري النكتة، ولم يمنعه هذا من البكاء بفعل الفصول التي يُحسَن تمثيلها، ويقول له أحد المتعقلين الذين كانوا بجانبه في فترة استراحة: «لا ينبغي لك أن تبكي، فهذه الممثلة سيّئة جدًّا، والممثل الذي يقوم بدوره معها أكثر سوءًا منها، وليست الرواية أقلّ سوءًا من الممثلين، فلا يعرف المؤلّف كلمة واحدة من العربية، ومع ذلك فإنّ منظر الرواية في بلاد العرب، ثمّ إنّ هذا الرجل لا يعتقد المبادئ الفطرية، وسآتيك غدًا بعشرين رسالة كتبت ضدّه»، ويقول كنديد للكاهن: «كم رواية تمثيلية توجد في فرنسة؟»، ويجيب الكاهن: «خمسة آلاف أو ستة آلاف»، ويقول كنديد: «هذا كثير، فكم عدد الجيّد منها؟»، ويجيب الآخر: «خمس عشرة أو ست عشرة»، ويقول مارتن: «هذا كثير».

ويُسرّ كنديد كثيرا بممثلة تقوم بدور الملكة إليزابت في مأساة كابية تُمثَّل أحيانًا، ويقول لمارتن: «إن هذه الممثلة تروقني كثيرًا، وهي تشابه الآنسة كونيغوند، ويطيب لي أن أحييها»، ويعرض الكاهن البريغوري أن يقدّمه إليها في منزلها، ويسأل كنديد الذي نشِّئ في ألمانية، عن الرسميّات وعن الوجه الذي تعامل به ملكات

Twitter: @ketab_n

إنكلترة في فرنسة، ويقول الكاهن: «لا بدّ من التمييز، ففي الأقاليم يؤتى بهنّ إلى الحانات، وفي باريس يُحترمن إذا ما كن حسانًا، فإذا مُتن رُمين في مطرح القمامة»، ويقول كنديد: «ملكات في مطرح القمامة!»، ويقول مارتن: «أجل، لا ريب، إنّ سيدي الكاهن على حقّ، فقد كنت بباريس عندما انتقلت الآنسة مونيم من هذه الحياة إلى الآخرة كما يقال، فقد ضُنّ عليها بما يسميه هؤلاء الناس مراسم الدفن، أي أن تَعفَنَ مع جميع أوغاد الحي في مقبرة كريهة، فدفنت وحدها في زاوية شارع بُرغونية، وهذا ما كان يشقّ عليها حقًّا، فقد كانت أصيلة التفكير»، ويقول كنديد: «هذا مخالف للأدب»، ويقول مارتن: «ما تنتظر؟» إنّ هؤلاء الناس فُطروا على هذا الطبع، فتمثّل جميع ما يمكن من تناقضٍ وتخالفٍ، تجدْه في حكومة هذا الشعب السخيف ومحاكمه وكنائسه ومسارحه»، ويقول كنديد: «أمن الصحيح كون الناس في باريس يضحكون دائمًا؟»، ويقول الكاهن: «أجل، ولكن مع غيظ في نفوسهم، وذلك أنّهم يشكون من كلّ شيء مع القهقهة، حتّى إنّهم يأتون أدعى الأمور إلى المقت وهم يضحكون».

ويقول كنديد: «من هو ذاك الخنزير السمين الذي قال لي سوءًا كبيرًا عن الرواية التي أبكتني كثيرًا وعن الممثلين الذين ألقوا سرورًا بالغًا في نفسي؟»، ويجيب الكاهن: «هذا أثيم يكسب عيشه بقوله سوءًا عن جميع الروايات وجميع الكتب، وهو يمقت كلّ واحد يكتب له النجاح كما يمقت الخصيان كلّ من يستمتع، وهو من

Twitter: @ketab_n

أفاعي الأدب التي تغتذي بالحمأة[1] والحُمَة[2]، وهو مُحبِّر»، ويقول كنديد: «وما تعني بكلمة محبر؟»، ويقول الكاهن: «إنه ناشر أوراق، إنه فريرون[3]».

وهكذا يتخاطب كنديد ومارتين والبريغوري على الدرج عندما كانوا يشاهدون الناس خارجين من دار التمثيل، ويقول كنديد: «ومع أنني شديد الشوق إلى لقاء الآنسة كونيغوند فإنني أود، مع ذلك، أن أتعشى مع الآنسة كليرون التي ظهرت لي رائعة».

ولم يكن الكاهن ليقترب من الآنسة كليرون التي لا تعاشر غير الطبقة الراقية، ويقول: «هي مشغولة في هذه الليلة، ولكن لي الشرف بأن آتي بك إلى بيت سيدة من ذوات المقام، فهنالك تعرف باريس كما لو أقمت بها أربع سنين».

وبما أنّ كنديد كان ذا فضول بطبيعته، فإنه سمح بأن يؤتى به إلى منزل السيدة في آخر ضاحية سان أُنورِه، فوُجد فيه أناس يلعبون لعبة القمار المعروفة بالفرعونية، وكان يوجد هنالك اثنا عشر مقامرًا حزينًا يمسك كلّ واحد منهم كتيّبا من أوراق اللعب، أي سجلًا مقرّنا لحَظّهم العاثر، وكان يسود الجميع صمت عميق، وكانت تعلو جباه المقامرين صفرة، وكان يبدو القلق على جبين الصيرفي، وكانت ربّة المنزل الجالسة بجانب هذا الصيرفي القاسي

(١) الحمأة: الطين الأسود.

(٢) الحمة: السم.

(٣) فريرون، كاتب قسا على فولتير في مقالات كثيرة (م).

Twitter: @ketab_n

تلاحظ بعيني وَشَقٍ[1] جميع المقامرات بضعف ما لُعب به أول مرة، أي جميع ما يثني به كلّ مقامر من أوراقه فتعيد الثنيات بدقة وثيقة ولكن مؤدّبة، خشية افتقاد زُبُنِها، وكانت هذه السيدة تسمّى مركيزة بارولينياك، وكانت لها ابنة بالغة من العمر خمس عشرة سنة، وكانت هذه الابنة بين المقامرين، فتخبره بطَرفة عين عن مخادعات هؤلاء المساكين الذين يحاولون إصلاح قسوة الطالع، ويدخل الكاهن وكنديد ومارتن فلم ينهض أحد، ولم يحيِّهم أحد، ولم ينظر إليهم أحد، فالجميع كانوا يفكّرون في أوراق لعبهم، ويقول كنديد: «إنّ سيدتي بارونة ثندرتن ترنك كانت أكثر تهذيبًا».

ومع ذلك فإنّ الكاهن يدنو من أذن المركيزة فتنهض نصف نهضة، وتُكرم كنديد بابتسامة لطيفة، كما تكرم مارتن بهزة رأس أصيلة، وتقدم إلى كنديد مقعدًا ولعبة أوراق فيخسر خمسين ألف فرنك في جولتين، وبعد ذلك يتناول العشاء بمرح، ويُدهش الحضور من كون كنديد لم يزعج بخَسَاره، وكان الخدم يقولون فيما بينهم: «لا بدّ من أن يكون هذا لوردًا إنكليزيًّا».

وكان العَشاء مماثلًا لمعظم أعشية باريس، فمن صمت في البداءة إلى كلام صاخب لا يُماز بعضه من بعض، ثم إلى فكاهات تافهة في الغالب، فإلى حوادث كاذبة فإلى تعقّلات رديئة فإلى قليل من السياسة فإلى كثير من الغيبة، حتّى إنّ الحديث دار حول الكتب الجديدة، ويقول الكاهن البريغوري: «هل اطّلعتم على الرواية

(١) الوشق: من سباع الأرض.

Twitter: @ketab_n

التي وضعها الدكتور في اللاهوت: السيد غوشا[1]؟»، فيجيب أحد المدعوين: «أجل ولكني لم أستطع إتمامها، ولدينا طائفة من الكتب المخالفة للأدب، ولكنّها كلّها لا تداني مجون الدكتور في اللاهوت: غوشا، وقد بلغت من التّخم بهذا الفيض البغيض من الكتب التي تغمرنا ما ملت معه إلى الميسر (الفرعونية)»، ويقول الكاهن: «وما تقول عن «كشكول» رئيس الشمامسة تروبْله[2]؟»، فتقول مدام دوبارولنياك: «آه! يا له من مخلوق مملّ! يا لَذكْرِه لكم أمورًا على أنّها من الطرائف مع أن جميع الناس يعرفونها! يالِثِقَل نقاشه في أمرٍ لا يستحق سوى ملاحظة خفيفة! يا لانتحاله بلا روحٍ روح الآخرين! يا لإفساده ما يسلبه! يالا لاشمئزازي منه! بيد أنّه عادٍ لا يثير نفوري، فيكفي أن يُقرأ بضع صفحات من رئيس الشمامسة».

ويؤيّد ما قالته المركيزة رجل علم وذوق كان بين الجالسين حول المائدة، ثم دار الحديث حول المآسي، وتسأل السيدة عن سبب وجود مآسٍ تمثّل أحيانًا ولا تطاق مطالعتها، ويوضح رجل الذوق إيضاحًا جيّدًا كيف أنّ الرواية تنطوي على إمتاع من غير أنّ تشتمل على أيّة مزية تقريبًا، ويثبت بكلمات قليلة أنّه لا يكفي أن يؤتى بواحدة أو اثنين من المواقف التي توجد في جميع الروايات وتُغري الحضور في كلّ حين، بل لا بدّ من الجِدّة بلا غرابة، ومن

(١) لم يكتب غوشا أية رواية، ولكنه أساء إلى فولتير في رسائل نقد نشرها، فذهب فولتير إلى أنّ غوشا واضع لرواية «هاتف الفلاسفة المعاصرين»، مع أن هذه الرواية للكاهن غويون (م).

(٢) أحد ناقدي فولتير ١٦٩٧ ـ ١٧٧٠ (م).

Twitter: @ketab_n

السمو غالبًا، من القرب إلى الطبيعة دائمًا، ومن معرفة القلب وإنطاقه، ومن كون الكاتب شاعرًا كبيرًا مع عدم إظهاره أي واحدٍ من أبطال الرواية شاعرًا ومن كونه تامّ العلم بلغته مستخدمًا إيّاها بصفاء، وانسجام متّصل ومن غير أن يضحّي بشيء من المعنى في سبيل القافية، ويضيف إلى هذا قوله: «أجل، يمكن من لم يراع جميع هذه القواعد أن يضع مأساة أو مأساتين يُهتَف لهما في دار التمثيل، ولكنّه لن يُعَدّ من الكتّاب المجيدين، والمآسي الجدّية قليلة إلى الغاية، وبعض المآسي رعائية حوارية حسنة الإنشاء حسنة الوزن، وبعضها ملاحظات سياسية تجلب النعاس، أو إسهاب يجلب الملال، وبعض آخر منها أحلامُ ممسوسٍ بأسلوبٍ جاف مع حوار متقطّع وخطاب طويل للآلهة (عن عدم معرفة لمحادثة الناس) وأمثال زائفة وأفكار مبتذلة مبالغ فيها».

ويستمع كنديد إلى هذا القول بدقّة، ويكبر في ذهنه هذا المتكلّم كثيرًا، وبما أنّ المركيزة كانت تعنى بوضعه بجانبها فإنّه يميل إلى أذنها ويبيح لنفسه أن يسألها عن هذا الرجل الذي يجيد الكلام بهذا المقدار، فتقول السيدة: «هذا عالم لا يقامِر أبدًا، هذا أديب يأتيني به الكاهن أحيانًا لتناول العشاء، وهو تامّ المعرفة بالمآسي والكتب، وقد وضع مأساة صُفِر لها، كما وضع كتابًا لم يرَ منه غير نسخة واحدة خارج حانوت الكُتْبيّ فأهداها إليّ»، ويقول كنديد: «يا له من رجل عظيم! هو بنغلوس آخر».

وهنالك يلتفت إليه ويقول له: «سيدي، ترى، لا ريب، أنّ كلّ شيء يسير على أحسن حال في العالم الماديّ والعالم المعنويّ،

Twitter: @ketab_n

وأنّ الأمر لا يمكن أن يكون غير هذا؟» فيجيب العالم: «لا أرى هذا مطلقًا يا سيدي، وعكس هذا هو الذي يقع عندنا كما أرى، فلا أحد يعرف مقامه ولا عمله، ولا ما يفعل، ولا ما يجب أن يفعل، وإذا عدوت العشاء، الذي ينطوي على شيء من المرح، حيث يبدو شيء من الألفة، وجدت ما بقي من الزمن ينقضي بمنازعات ماجنة، فيظهر الينسينيون[1] ضدّ المولينيين[2]، ورجال البرلمان ضدّ رجال الكنيسة، ورجال الأدب ضدّ رجال الأدب، والندماء ضدّ الندماء، والماليون ضدّ الشعب، والنساء ضدّ الأزواج، والأقرباء ضدّ الأقرباء، فهذا قتال أزلي».

ويجيبه كنديد بقوله: «رأيت ما هو أسوأ من هذا، غير أنّ الحكيم الذي شقي بالشنق علّمني أنّ جميع ذلك على أحسن حال، فهذه ظلال على لوح جميل»، ويقول مارتن: «إنّ هذا المشنوق كان يهزأ بالعالم فظلالك شوائب فظيعة»، ويقول كنديد: «إنّ الناس هم الذين يصنعون الشوائب، ولا يمكنهم اجتنابها»، ويقول مارتن: «إذن، ليس هذا خطأهم»، وكان معظم المقامرين، الذين لا يفقهون شيئًا من هذا الحديث، يشربون، وقد تبادل مارتن والعالم الحديث، وقد قصّ كنديد قسمًا من مغامراته على ربّة المنزل.

وبعد العشاء تأتي المركيزة بكنديد إلى مخدعها وتجلسه على متكأ، وتقول له: «حسنا! إذن، أنت تحبّ الآنسة كونيغوند دو

---

(١) أنصار ينسينيوس، وهو عالم لاهوتي هولندي (١٥٨٥ ـ ١٦٣٨) (م).
(٢) أنصار مولينا، وهو يسوعي (١٥٣٥ ـ ١٦٠٠) (م).

Twitter: @ketab_n

ثندرتن ترنك حبّ ولعٍ دائمًا؟»، ويجيب كنديد: «أجل، يا سيدتي»، وتجيب المركيزة بابتسامة ناعمة: «إنّك تجيب كما يجيب شابّ من فستفالية، ولو وجد فرنسي في مكانك لقال لي: نعم، لقد أحببت الآنسة كونيغوند، ولكنّني أخشى ألّا أحبّها بعد أن رأيتك يا سيدتي»، ويقول كنديد: «آه! يا سيدتي، سأجيب كما تريدين»، وتقول المركيزة: «بدأ ولعك بها بالتقاطك منديلها، فأودُّ أن تلتقط لي رباط ساقي»، ويقول كنديد: «ألتقطه من صميم فؤادي»، ويلتقطه، وتقول السيدة: «ولكنّني أودّ أن تردّه إلى حيث كان فيّ»، فيردّه كنديد، وتقول السيدة: «أنت أجنبي كما ترى، وممّا يحدث أحيانًا أن أدع عشّاقي بباريس يضنَون خمسة عشر يومًا، ولكنّني أهب نفسي لك منذ الليلة الأولى، فمن الواجب أن أبيّض وجه بلدي بإكرام شابّ من فستفالية»، وإذ أبصرت الحسناء ألماستين عظيمتين في يدي شابِّها الأجنبي فإنها بلغت من امتداحهما بإخلاص ما انتقلتا معه من إصبعي كنديد إلى إصبعي المركيزة.

ولمّا عاد كنديد مع الكاهن البريغوري شعر بندم على عدم وفائه للآنسة كونيغوند، ويشاطره السيد الكاهن كربه، ولا غَرو، فهو لم ينل غير نصيب ضئيل من الخمسين ألف فرنك التي خسرها كنديد في القمار ومن قيمة الألماستين اللتين أخذتا منه نصف هبة ونصف اغتصاب، وكانت خطّته تقوم على استفادته، ما أمكنه، من العوائد التي قد ينالها بسبب معرفته لكنديد، وقد تحدّثا كثيرًا عن كونيغوند، وقد قال له كنديد إنّه سيطلب من هذه الحسناء عندما يراها في البندقية أن تغفر له عدم وفائه.

Twitter: @ketab_n

وضاعف البريغوري أدبه وانتباهه، وأقبل إقبال حنوٍّ على كلّ ما يقول كنديد وما يفعل وما يريد أن يفعل.

ويقول «إذن، أنت على موعد في البندقية؟»، ويقول كنديد: «أجل، يا سيدي الكاهن، وعليّ أن أسافر حتمًا لألقى الآنسة كونيغوند»، وبما أنّه استحوذ عليه حبّ الحديث عمّن كان يحبّ فقد قصّ، وفق عادته، قِسمًا من مغامراته مع هذه الفستفالية الباهرة.

ويقول الكاهن: «أظن أنّ الآنسة كونيغوند نبيهة جدًّا، وأنّها تكتب رسائل فتانة»، ويقول كنديد: «لم أتلقّ آيّة واحدة منها، فاعلم أنّني طردت من القصر بسبب حبي لها فلم أستطع أن أكتب إليها، وأنّني لم ألبث أن خُبِّرت بموتها ثم وجدتها ثانية، ثم أضعتها، ثمّ أرسلت إليها رسولًا في بلد يبعد من هنا ٢٥٠٠ فرسخ، فأنتظر جوابه».

وكان الكاهن ينصت بدقّة ويبدو شارد الفكر قليلًا، وهو لم يلبث أن استأذن الغريبَين في الانصراف بعد أن عانقهما برقّة، فلمّا أفاق كنديد صباحًا تناول الكتاب الآتي:

«سيدي العاشق الأعزّ، مضت ثمانية أيّام على مرضي في هذه المدينة، وقد علمت أنّك فيها، وقد كنت أطير إلى ذراعيك، لو كنتُ قادرة على الانتقال، وقد أنبئتُ بمرورك من بوردو حيث تركتُ المخلص ككنبو والعجوز اللذين سيلحقان بي سريعًا، وقد أخذ حاكم بوينوس أيرس كلّ شيء، ولكن بقي لي قلبك، تعال، فحضورك يعيد إليّ الحياة أو يميتني قريرة العين».

Twitter: @ketab_n

نقل هذا الكتاب الساحر المفاجئ كنديد إلى جوٍّ من السرور لا يمكن أن يعبر عنه، وأثقله مرض كونيغونده العزيزة ألمًا، واستحوذ عليه هذان الشعوران فأخذ ذهبه وألماسه وأُتِيَ به وبمارتن إلى الفندق الذي تقيم به الآنسة كونيغوند، ويدخل راجفًا وجْدًا، خافقًا قلبًا، زافرًا صوتًا، ويريد أن يزيح ستائر السرير، ويريد إحضار مصباح فتقول الخادمة له: «احتزر من ذلك كثيرًا فالنور يقتلها»، وتسدل الستائر من فورها، ويقول كنديد باكيًا: «أي كونيغوندي العزيزة، كيف حالك؟ إذا كنت لا تستطيعين أن تريني فكلّميني على الأقل»، وتقول الخادمة: «إنّها لا تستطيع الكلام»، وهنالك أخرجت السيدة من السرير يدًا سمينة فبلّلها كنديد بدموعه طويلًا ثم ملأها ألماسًا تاركًا على الكرسي كيسًا مملوءًا ذهبًا.

وبينما هو هائج وجدًا إذ وصل ضابط شرطة، ومن ورائه الكاهن البريغوري وفوج من رجال الأمن، ويقول: «إذن، هذان هما المتّهمان الأجنبيّان؟»، ويقبض عليهما حالًا، ويأمر رجاله الشجعان بسوقهما إلى السجن، ويقول كنديد: «لا يعامل السياح في إلدورادو بهذا الأسلوب»، ويقول مارتن: «إنني مانوي أكثر منّي في أيّ زمن كان»، ويقول كنديد: «إلى أين تأتون بنا يا سيدي؟»، ويقول ضابط الشرطة: «سنلقي بكما في غياهب السجن».

ويعود إلى مارتن اعتدال دمه، ويحكم بأنّ السيدة التي تزعم أنّها كونيغوند مخادعة، وبأنّ الكاهن البريغوري مخادع أساء بسرعة استغلال بساط كنديد، وبأنّ ضابط الشرطة مخادع آخر يسهل الخلاص منه.

Twitter: @ketab_n

ويستنير كنديد برأي مستشاره فيفضّل عدم التعرض للتدابير القضائية فيرى، وهو المتهافت على رؤية كونيغوند الحقيقية، أن يعرض على ضابط الشرطة ثلاثَ ألماسات صغيرة تُقدّر قيمة كل واحدة منها بنحو ثلاثة آلاف دينار، ويقول له حامل العصا العاجية: «آه، يا سيدي، لو كنت مقترفًا جميع ما يتصوّر من جرائم لعددت أصلح رجل في العالم، ثلاث ألماسات! قيمة كلّ واحدة منها ثلاثة آلاف دينار! أُقتلُ في سبيلك، يا سيدي، بدلًا من سوقك إلى سجن مظلم، أجل يُقبض على جميع الأجانب، ولكن دعني أدبِّر، فلي أخ في ديب بنورماندية، وسآتي بك إليه، فإذا كان لديك ألماس قليل تعطيه إيّاه عني بك كما أعنى بك».

ويقول كنديد: «ولم يوقَفُ جميع الأجانب؟»، وهنالك يتناول الكاهن البريغوري الحديث ويقول: «ذلك لأنّ وغدًا من بلد أتريباسى[1] سمع بعض القذائع فأدّى هذا إلى قتله أباه، وليس هذا كالجرم الذي اقترف في شهر مايو سنة ١٦١٠[1]، بل كالذي اقترفت في شهر ديسمبر سنة ١٥٩٤[1]، وكالجرائم الأخرى التي اقترفت في سنين أخرى وفي شهور أخرى من قبل أوغاد سمعوا قذائع».

---

(١) أشار فولتير بهذا إلى جرح لويس الخامس عشر من قِبل داميان في سنة ١٧٥٧م وكان رافياك قد قتل هنري الرابع في ١٤ من مايو ١٦١٠، وكان جان شاتل اليسوعي جرح هنري الرابع في ٢٧ من ديسمبر سنة ١٥٩٤، كما صنع داميان، ويعزو فولتير جميع هذه الأعمال إلى التعصّب (م).

Twitter: @ketab_n

وهنالك يوضح ضابط الشرطة معنى ذلك، فيقول كنديد صارخا: «وي! يا لهم من غيلان! ماذا؟ أمثل هذه القبائح لدى شعب يرقص ويغني! ألا أستطيع الخروج بأسرع ما يمكن من هذا البلد الذي تزعج القردة فيه النمور؟ لقد رأيت دببة في بلدي، ولم أجد أناسًا في غير إلدورادو، أسألك بالله، يا سيدي الضابط، أن تأتي بي إلى البندقية حيث أنتظر الآنسة كونيغوند»، ويقول رئيس الشرطة: «لا أستطيع أن آتي بك إلى غير نورماندية الدنيا»، ويأمر بفكّ قيوده حالًا، ويصرح بأنّه أخطأ، ويصرف أعوانه، ويجلب كنديد ومارتن إلى ديب ويجعلهما قبضةَ أخيه، وكان في الميناء مركب هولندي صغير، ويصير النورماندي بثلاث ألماسات أخر أخدم الناس له، ويركب كنديد وخدمه في السفينة التي تقلع إلى برتسموث بإنكلترة، ولم تكن هذه طريق البندقية، بيد أن كنديد يشعر بأنه نجا من الجحيم، وقد كان عازما على السفر إلى البندقية في أول فرصة.

Twitter: @ketab_n

الفصل الثالث والعشرون
ذهاب كنديد ومارتن
إلى شواطئ إنكلترة وما رَأَيَا هنالك

كان كنديد يقول وهو على السفينة الهولندية: «وي! بنغلوس! بنغلوس! وي! مارتن! مارتن! وي! كونيغوندي العزيزة! ما هذا العالم؟»، وكان جواب مارتن: «شيء ممسوس جدًّا، شيء كريه جدًّا»، «ـ أنت تعرف إنكلترة، وهل يوجد هنالك مسّ كما في فرنسة؟»، ويقول مارتن: «هذا نوع آخر من الجنون، فأنت تعلم أن هاتين الأمتين متحاربتان من أجل فدادين قليلة من الثلج في كَنَدَة، فتنفقان في سبيل هذه الحرب الرائعة ما يزيد كثيرًا على قيمة كندة بأسرها، وليس ممّا يدخل ضمن نطاق مداركي الضعيفة أن أخبرك بالضبط عن وجود أناس يعاشرون في بلد أكثر ممّا في بلد آخر، إنّما أعرف أنّ الذين نزورهم يعدون، على العموم، ذوي سوداء بالغة».

وبينا هما يتكلّمان على هذا الوجه وصلا إلى برتسموث فرأيا

Twitter: @ketab_n

جمعًا من الناس يملأ الشاطئ وينعم النظر في رجل سمين بعض السمن معصَّب العينين راكع على ظهر إحدى سفن الأسطول، وكان يقوم أمامه أربعة جنود فيطلق كل واحد منهم ثلاث رصاصات في قحفه بأهدأ ما يمكن[1]، ويعود الجمع كله مرتاحًا إلى الغاية، ويقول كنديد: «ما هذا كلّه إذن؟ وأيّ شيطان يمارس سلطانه في كلّ مكان؟»، ويسأل عن هذا الرجل السمين الذي قتل منذ هنيهة في احتفال، فيقال له: «إنّه أمير بحر»، «ـ ولم يقتل أمير البحر هذا؟»، فيقال له: «ذلك لأنّه لم يوجب قتل أناس بما فيه الكفاية، وقد قاتل أمير بحر فرنسي فوُجِد أنّه لم يدنُ منه بما فيه الكفاية»، ويقول كنديد: «ولكن أمير البحر الفرنسي كان بعيدًا من أمير البحر الإنكليزي بُعد هذا من ذاك، ويجاب عن هذا «بأن هذا أمر لا مراء فيه، غير أنّ من الصالح في هذا البلد أن يقتل أمير بحر في الحين بعد الحين تشجيعًا للآخرين».

ويبلغ ما رأى كنديد وسمع من إزعاجه وغمّه ما لم يُرِد معه حتّى النزول إلى الشاطئ، فيساوم الربّان الهولندي (ولو سرقه كما فعل ربان سورينام) لينقله إلى البندقية على عجل.

ويستعد الربّان في يومين، ويُسار وساحلَ فرنسة، ويمرّ أمام أشبُونة، ويرتجف كنديد، ويدخل المضيق والبحر المتوسط

(١) يشير فولتير إلى إعدام أمير البحر الإنجليزي بنغ رميًا بالرصاص في ١٤ من مارس سنة ١٧٥٧ (م).

Twitter: @ketab_n

ويوصَّل إلى البندقية في نهاية الأمر، ويقول كنديد وهو يعانق مارتن: «حمدًا لله! فهنا سأرى كونيغوند الحسناء ثانية، وأعتمد على ككنبو اعتمادي على نفسي، وكلّ شيء حسن، وكلّ شيء يسير سيرًا حسنًا، وكلّ شيء يسير على أحسن ما يمكن أن يكون».

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

الفصل الرابع والعشرون
باكتّ والراهب جيرُفَله

بلغ البندقية، فبحث عن ككنبو في جميع الحانات وجميع القهوات وعند جميع بنات الهوى فلم يجده مطلقًا، ويرسل في كلّ يوم سعاة على جميع المراكب والقوارب فلا يأتيه نبأ عن ككنبو، ويقول لمارتن: «ماذا! كان لدى من الوقت ما مررت فيه من سورينام إلى بوردو، وما ذهبت فيه من بوردو إلى باريس، ومن باريس إلى ديب، ومن ديب إلى برتسموث، وما كنت فيه محاذيًا للبرتغال وإسبانية، وما جاوزت فيه جميع البحر المتوسط، وما قضيت منه بضعة أشهر بالبندقية، ثم لم تأت الحسناء كونيغوند قط! إنّني لم ألاقِ غير ماجنة وغير كاهن بريغوري بدلًا منها! لقد ماتت كونيغوند لا ريب ولم يبق عليّ غير الموت، آه! كان الأفضل لي أن أبقى في جنّة إلدورادو من أن أعود إلى أوربّة اللعينة، يا لوجود الحقّ بجانبك أيّها العزيز مارتن! إنّ كلّ شيء باطل وبلاء».

ويصاب بمالنخوليا سوداء، ولم يكن له نصيب في مشاهدة

Twitter: @ketab_n

الأُبرا العصرية، ولا في تسليات الكرنفال، ولم يجد في أيّة سيدة شيئًا من المغريات، ويقول مارتن له: «حقًّا أنّك بسيط جدًّا في تصوّرك خادمًا خلاسيًّا، حاملًا في جيوبه خمسة ملايين أو ستة ملايين، يذهب للبحث عن حظيّتك في أقصى العالم فيأتيك بها إلى البندقية، فهو إذا ما وجدها أخذها لنفسه، وهو إذا لم يجدها أخذ غيرها، فأنصحك بأن تنسى خادمك ككنبو وحظيّتك كونيغوند». ولم يكن مارتن مروحًا، فتزيد سوداء كنديد، ولم ينفك مارتن يثبت له أنّه لا يوجد غير قليل فضيلة وقليل سعادة في الأرض، وذلك مع استثناء إلدورادو التي لا يستطيع أحد أن يذهب إليها.

وبينا كان كنديد يجادل حول هذا الموضوع المهم وينتظر كونيغوند أبصر شابًّا تياتيا[1] في ميدان القديس مرقص متأبطًا ذراع فتاة وكان هذا التياتيّ يظهر ناضرًا ريانًا قويًّا لامع العينين، رابط الجأش أشمّ الأنف مختالًا في مشيه، وكانت الفتاة كثيرة الملاحة، وكانت تُغني وتنظر إلى تياتيّها نظر غرام فتقرص خديه المكتنزين حينًا بعد حين، ويقول كنديد لمارتن: «أنت تعترف لي، على الأقلّ، بأنّ هذين الإنسانين سعيدان، أجل، لم أجد حتّى الآن غير تعساء في جميع الأرض العامرة خلا إلدورادو، ولكنّني أراهن على أنّ هذه الفتاة وهذا التياتي من أكثر الناس سعادة»، ويقول مارتن: «أراهن على العكس»، ويقول كنديد: «ما علينا إلّا أن ندعوهما إلى الغداء لترى هل أنا مخطئ».

---

(١) أي عضوا من المنظمة الدينية التي أسسها غايتان وتيان وأسقف تياتو: بيار كارافا (م).

Twitter: @ketab_n

ويدنو منهما حالًا، ويجاملهما، ويدعوهما إلى الفندق ليأكلا مكرونة وحَجَلا لُنْباردِيًّا وخِبْيارِيًّا ويشربا خمر مونْتِبولْشِيانو ولَكْريماكِرِسْتي وقبرص وساموس، ويحمرّ وجه الفتاة، ويقبل التياتي الدعوة، وتتبعه الفتاة ناظرة إلى كنديد نظرة حيرة وارتباك دامعة العينين، ولم تكد تدخل غرفة كنديد، حتّي قالت له: «يا للعجب! عاد السيد كنديد لا يعرف باكت!»، سمع كنديد هذه الكلمات، وهو الذي لم ينعم النظر فيها حتّى الآن، لأنّه كان لا يفكّر في غير كونيغوند فقال لها: «واهًا، أيّتها الفتاة المسكينة! إذن، أنت التي جعلت الدكتور بنغلوس في الحال اللطيفة التي رأيته عليها!».

وتقول باكت: «آه! أنا، يا سيدي، أراك مطّلعًا على كلّ شيء وقد علمت خبر المصائب الهائلة التي صُبّت على جميع آل السيدة البارونة وعلى كونيغوند الحسناء، وأقسم لك إنّ نصيبي لم يكن أقلّ بؤسًا قط، فقد كنت نقيّة جدًّا عندما رأيتني، فسهل على راهب فرنسسكاني، كان معرِّفا لي، أن يغويني، وكانت نتائج هذا فظيعة، فأُلزِمت بالخروج من القصر بعيد طرد سيدي البارون لك بضربات الرجل على عجزك، ولو لم يرحمني أحد الأطباء المشهورين لهلكت، وقد بقيت بعض الزمن حظيّة لهذا الطبيب عن شكر له، وكانت امرأته تتميز غيظًا عن غيرة فتضربني كل يوم ضربًا مبرحًا، وكانت غضوبًا، وكان هذا الطبيب أكثر الرجال دمامة، وكنت أكثر المخلوقات شقاء لما كان من ضربي الدائم في سبيل رجل لم أحبه، وتعرف، يا سيدي، مقدار الخطر على امرأة شرسة من كونها زوجا

Twitter: @ketab_n

لطبيب، ويبلغ الطبيب من الحنق على أساليب امرأته ما يعطيها معه لتشفَى من سعال خفيف، علاجًا شديد الفعل فتموت منه في ساعتين لما أحدث من تشنّجات هائلة، ويقيم والدا السيدة قضية جنائية على السيد، ويفرّ ويلقى بي في السجن، وما كانت براءتي لتنقذني لو لم أكن على شيء من الجمال، ويفرج القاضي عني على أن يَخْلُفَ الطبيبَ، ولسرعان ما ظهرت منافسة لي فحلّت محلّي، فطُردت بلا مكافأة، واضطررت إلى مواصلة حرفة قبيحة تبدو لكم مستحبّة كثيرًا أيّها الرجال، وتبدو لنا هوّة من البؤس، وأذهب إلى البندقية لممارسة هذه الحرفة، آه! يا سيدي، لو كنت تستطيع أن تتصوّر ما أنا مضطرة إليه من ملامستي ملاطِفةً، بلا تمييز، تاجرًا شائبًا أو محاميًّا أو راهبًا أو نوتيًّا أو كاهنًا، وما أنا عرضة له من جميع الشتائم وجميع الإهانات، وما أنا محتاجة إليه في الغالب من استعارة تنُّورة[1] لأذهب فأجد رجلاً كريهًا يرفعها عنّي، وما يقع من سلب رجل لما أكون قد كسبته من آخر، وما يحدث من دفعي مالًا لضباط العدل، وما يساورني من تمثل مشيب رهيب، ومن تمثّل مَشفًى ودمنة، فهنالك تستنتج أنّني من أتعس المخلوقات في الدنيا».

وهكذا تفتح باكت قلبها لكنديد البسيط في غرفة وبحضرة مارتن الذي قال لكنديد: «ترى أنني كسبت نصف الرهان».

وقد بقي الراهب جيرُفْلِه في ردهة الطعام، وكان يشرب قدحًا

---

(١) Jupe.

Twitter: @ketab_n

منتظرًا الغداء، ويقول كنديد لباكت: «ولكنّك كنت كثيرة المرح كثيرة السرور عندما لقيتك، فقد كنت تغنين، وكنت تلاطفين التياتي ملاطفة طبيعية، وأراك تدعين بأنّك شقية مع أنّك ظهرت لي سعيدة»، وتجيب باكت: «آه! يا سيدي، وهذا من أَبْؤس الحرفة، وقد ضربت وسرقت أمس من قبل ضابط فوجب أن أبدو اليوم طيبة المزاج لأروق راهبًا».

ولم يُرد كنديد أن يسمع أكثر ممّا سمع، ويعترف بأنّ مارتن كان على حقّ، ويجلس حول المائدة مع باكت والتياتي، وكان الطعام ملهِيًا، ويتكلّم في ختامه بشيء من الثقة، ويقول كنديد للراهب: «يظهر لي، يا أبتِ، أنّك تتمتّع بنصيب يحسدك كل واحد عليه، فزهرة الصحة تسطع على وجهك وتنمّ سيماك على السعادة، ولديك فتاة باهرة الجمال لتسليتك، وتبدو كثير الرضا بحالك التياتية».

ويقول الراهب جيرفله: «قسمًا بالله، يا سيدي، إنّني أودّ أن يكون جميع التياتيين في قعر البحر، وقد حاولت مئة مرّة أن أحرق الدير وأن أذهب وأصبح تركيًّا، فقد ألزمني والديّ، وأنا في الخامسة عشرة من سِنّي، أن ألبس هذه الحلّة البغيضة تركًا لمال أوفر لأخي اللّعين الأكبر الذي أدعو الله أن يخزيه! ويقيمُ الحسدُ والشقاقُ والغيظُ بالدير، وأقوم ببعض المواعظ السيئة فأنال بها مالًا يسرق رئيس الدير منّي نصفه، وأنفق الباقي على الفتيات، ولكنّني إذا ما عدت إلى الدير مساءً وجدتني مستعدًا لتحطيم رأسي على جدران غرفة النوم، ومثل هذا حال جميع زملائي».

Twitter: @ketab_n

ويلتفت مارتن إلى كنديد باعتداله المعتاد ويقول له: «والآن! ألا أستحق الرهان كاملًا؟»، ويدفع كنديد ألفي قرش إلى باكت وألف قرش إلى الراهب جيرفله، ويقول: «أردّ عليك بأنهما سيغدوان سعيدين بهذا»، ويقول مارتن: «من المحتمل أنّك تجعلهما بهذه القروش أشدّ شقاء أيضًا»، ويقول كنديد: «ولكن لي العزاء في أمر واحد، وذلك أنني ألاقي، في الغالب، أناسًا لا يُظَن لقاؤهما مطلقًا، ومن الممكن كثيرًا أن ألاقي كونيغوند مرّة أخرى كما لقيت كبشي الأحمر»، ويقول مارتن: «أتمنى أن تكون سبب سعادتك يومًا ما، ولكنّني أشك في هذا كثيرًا، ويقول كنديد: «أنت قاسٍ جدًّا»، ويقول مارتن: «ذلك لأنّني عشت».

ويقول كنديد: «ولكن انظر إلى هؤلاء الملّاحين، ألا يغنون بلا انقطاع؟»، ويقول مارتن: «أنت لا تنظر إليهم في منزلهم مع نسائهم وأولادهم، فلرئيس شيوخ البندقية أحزانه، وللملاحين أحزانهم، والحقّ أن الأمر إذا قلب من جميع وجوهه وُجِد أن نصيب الملاح خير من نصيب رئيس الشيوخ، ولكنني أعتقد أن الفرق هو من الصغر ما لا يستحق معه أن يُبحث فيه».

ويقول كنديد: «يُحدَّث عن عضو السنات بوكو كورَنْتِه الذي يقيم بهذا القصر الجميل القائم على البِرِنْتا والذي يتقبل الغرباء قبولًا حسنًا، فيزعم أنّ الغم لا يجد سبيلا إلى قلبه مطلقًا»، ويقول مارتن: «أودّ لو أجتمعُ إلى هذا المِثال النادر»، فطلب كنديد من فوره إلى السنيور بوكو كورنته أن يأذن لهما في الحضور لمقابلته غدًا.

Twitter: @ketab_n

الفصل الخامس والعشرون
زيارة الشريف البندقي السنيور بوكو كورَنْتِه

ذهب كنديد ومارتن في زورق على البرِنْتا ووصلا إلى قصر الشريف بوكو كورنته، فإذا الحدائق حسنة التنسيق مزينة بتماثيل رخامية رائعة، وكان القصر جميل البناء، وكان ربّ المنزل في الستين من سنيّه بالغ الغنى، فاستقبل محبي الاطلاع بأدب كثير، ولكن مع فتور، وهذا ما رَبَك كنديد، ولكن مع عدم إغاظة مارتن مطلقًا.

وأول ما حدث قدّمت إليهما فتاتان جميلتان لابستان ثيابًا نظيفة شكولاتة مُزبِدة جدًّا، ولم يستطع كنديد أن يمنع نفسه من الثناء على جمالهما ولطفهما ورشاقتهما، فيقول السناتي بوكو كورنته: «إنّهما مخلوقتان على شيء من الحسن، وممّا يحدث أحيانًا أن ألزمهما بالنوم على سريري، فقد سئمت كثيرًا من سيدات المدينة ودلالهن وغيرتهن وخصامهن ومزاجهن ودناءتهن وزهوهن وسخافتهن، ومن القصائد التي يجب نظمها لهنّ أو يوصى بها من أجلهنّ، ومع ذلك فقد أخذت هاتان الفتاتان تورِثانني سأمًا شديدًا».

Twitter: @ketab_n

وبينا كان كنديد يسير، بعد الفطور، في رواق طويل، بُهِرَ بروعة الألواح فيه، فسأل عن الأستاذ الذي رسم الاثنين الأوّلين منهما، فقال السناتي: «إنّهما لروفائيل، فاشتريتهما منذ سنين قليلة بثمن غالٍ عن خيلاء، ويقال إنّهما أروع ما في إيطالية، ولكنّني لا أعجب بهما مطلقًا، وذلك أنّ لونهما مُسْمَرّ وأن الوجوه فيهما غير مدورة غير بارزة تمامًا، وأن نسائجهما لا تشابه البزوز بشيء، ومجمل الكلام أنّه مهما يُقَل عنهما فإنّني لا أجد فيهما محاكاة حقيقية للطبيعة، ولا أحب لوحًا إذا اعتقدتُ أنّني أرى فيه الطبيعة نفسها، وهذا غير موجود مطلقًا، أجل، توجد عندي ألواح كثيرة، ولكنّني عدت لا أنظر إليها».

وبينا كان الغداء ينتظر أمر بوكو كورنته بتقديم قطعة موسيقية، فوجد كنديد الموسيقا لذيذة، فقال بوكو كورنته: «قد يسلي هذا الضجيج نصف ساعة، ولكنّه إذا ما دام أطول من هذا أتعب جميع الناس، وإن لم يجرؤ أحد على الاعتراف بهذا، فاليوم عادت الموسيقا لا تكون غير فن القيام بأمور صعبة، وما لا يكون غير صعب لا يروق على التمادِي.

«وقد كنت أُفضِّل التمثيل الغنائي لو لم توجد له وسيلة خفيّة يكون بها غُولًا مثيرًا لغضبي، وليشاهد، من يودّ، مآسي سيئة في الموسيقا حيث لا توضع الفصول إلّا ليؤتى، عن سماجة، بأغنيتين أو ثلاث أغنيات مضحكة ترويجًا لحنجرة ممثلة، وليفرط في الضحك من يودّ، أو من يقدر، حينما يرى خَصيًّا يُنغّم بدور قيصر

Twitter: @ketab_n

وكاتون ويدوس ألواح المسرح بغلظة، وأمّا أنا فقد عدلت منذ زمن طويل عن هذه السخافات التي يقوم عليها مجد إيطالية في الوقت الحاضر، والتي يدفع ملوك ثمنًا غاليا لها»، ويجادل كنديد قليلًا، ولكن برصانة، ويكون مارتن على رأي السناتي تمامًا.

ويجلسون حول المائدة، ويتناولون غداء فاخرًا، ويدخلون المكتبة، ويقع نظر كنديد على أوميرس المجلَّد تجليدًا رائعًا فيُثني على حسن ذوق الشريف، ويقول: «هذا كتاب كانت تقوم عليه لذّة بنغلوس العظيم الذي هو أفضل فلاسفة ألمانية»، ويقول بوكو كورنته بفتور: «لم تقم عليه لذتي، وقديمًا وجد من جعلني أعتقد أنني أتلذّذ بقراءته، غير أنّ ذلك التكرار المتصل للمعارك المتشابهة، وأولئك الآلهة الذين يعملون دائمًا على ألا يأتوا شيئًا حاسمًا، وهيلانة التي هي سبب الحرب فلا تكاد تكون ممثلة للرواية، وتِرْوادَة التي تحاصَر فلا يُستولي عليها أبدًا، أمورٌ كانت تورثني سأمًا قاتلًا جدًّا، وكنتُ في بعض الأحيان أسأل بعض العلماء عن سأمهم من هذه المطالعة بمقدار سأمي، فاعترف جميع المخلصين بأن الكتاب كان يقع من أيديهم، ولكن مع وجوب حفظ الإنسان لهذا الكتاب في مكتبته، دائمًا، كأثر من آثار القرون القديمة وكتلك النقود الصّدئة التي لا تصلح للتداول».

ويقول كنديد: «أرأيْـك، يا صاحب السعادة، مثل هذا عن فرجيل؟»، ويقول بوكو كورنته: «أوافق على روعة الجزء الثاني والرابع والسادس من إنئيدِه، وأمّا إنياهُ التقيّ وكلُوانْتِه القوي

Twitter: @ketab_n

وأكاتِس الصديقُ وأسكانْيوس الصغيرُ والملك لاتينوس السخيفُ وأماتا البرجوازيةُ ولافينيا الغثّةُ فلا أعتقد وجودَ ما يعدلها برودة وكراهة، وأفضِّل التّاس والوَهميّات لأريوستو».

ويقول كنديد: «أأجرؤ على سؤالك، يا سيدي، عن تمتّعك بلذّة عظيمة من قراءة هوراس؟»، ويقول بوكو كورنته: «يوجد من الأمثال ما يمكن أن ينتفع به رجل المعاشرة، وهي إذا ما حشرت في أبيات حازمة نُقِشت في الذاكرة بسهولة عظيمة، ولكنني قليل الاكتراث لرحلته إلى برنديزيوم ولوصفه غداء رديئًا ونزاعًا صاخبًا بين المدعو يوبيلوس، الذي كان كلامه مملوءًا صديدًا كما يقول، وآخر كان كلامه من خل، ولم أقرأ قصائده الغليظة التي هجا بها العجائز والسواحر إلا بنفور بالغ، ولا أرى أيّة مزية تتفق له بقوله لصديقه مسيناس إنه ينطح الكواكب بجبينه العالي إذا ما وضعه في مرتبة الشعراء الغنائيين، والأغبياء يعجبون بكلّ شيء في مؤلِّف مقدَّر، ولا أقرأ إلّا من أجل نفسي، ولا أحب غير ما يلائم ذوقي»، وتعتري كنديد، الذي نُشّئ على عدم الحكم بشيء من تلقاء نفسه، حيرة عظيمة ممّا سمع، ويجد مارتن طراز بوكو كورنته في التفكير على شيء من الصواب.

ويقول كنديد: «وي ! إليك شيشرون، فأرى أنّك لا تسأم من مطالعة هذا الرجل العظيم مطلقًا»، ويجيب البندقي بقوله: «لا أقرؤه أبدًا، وما يهمني من دفاعه عن رابيريوس وكلوينْتيوس؟ لديّ من القضايا الكافية ما أحكم فيه، وكان يمكنني أن أرضى بكتبه

Twitter: @ketab_n

الفلسفية، ولكنّني عندما رأيت أنّه يشكّ في كلّ شيء أبصرت أني أعرف مثلما يعرف، لم أكن لأحتاج إلى من يجعلني جاهلًا».

ويقول مارتن صارخًا: «آه! إليك مجموعة مؤلّفة من ثمانين مجلّدًا لمجمع العلوم، فمن المحتمل وجود ما هو صالح بينهما»، ويقول بوكو كورنته: «كان يمكن أن يوجد فيها ما هو صالح لو أنّ واحدًا من مؤلّفي هذه النفايات قد اخترع فنّ صنع دبابيس فقط، غير أنّه لا يوجد في جميع هذه الكتب غير مناهج باطلة، ولا يوجد فيها أمر واحد نافع».

ويقول كنديد: «ما أكثر ما أرى هنالك من روايات تمثيلية بالإيطالية والإسبانية والفرنسية!».

ويقول السناتي: «أجل، يوجد ثلاثة آلاف، ولا يبلغ الجيد منها ثلاثين، واعلم أنّ هذه المواعظ المجموعة لا تساوي صفحة من سِنِيكا، وأنّني لا أفتح، ولا أحد يفتح، جميع هذه المجلدات الضخمة في علم اللاهوت».

ويبصر مارتن الرفوف مثقلة بكتب إنكليزية، ويقول: «أعتقد أنّ الرجل الجمهوري يُسرّ بمعظم هذه الكتب التي أُلِّفت بحرية كثيرة»، ويجيب بوكو كورنته بقوله: «إنّ من الجميل أن يُكتَب ما يُفكَّر فيه، وهذا هو امتياز الإنسان، ولا يُكتَب في جميع إيطالية غيرُ ما لا يدور في الخواطر، ولا يجرؤ أولئك الذين يسكنون وطن القيصرين والأنطونين أن يكونوا ذوي فكر من غير أن يأذن يعقوبيٌّ لهم في ذلك، وأرضَى بالحرية التي تُلهم عبقريات الإنكليز لو لم

Twitter: @ketab_n

يفسد الهوى الحزبي والروح الحزبية كلّ ما تشتمل عليه هذه الحرية الثمينة من أمر جليل».

ويبصر كنديد مِلتُن، ويسأله عن عدِّه هذا المؤلّف رجلًا عظيمًا، ويقول بوكو كورنته: «من؟ أهذا الجلف الذي وضع تفسيرًا طويلًا للفصل الأول من سفر التكوين، وذلك بقصائد جافية في عشرة أجزاء؟ أهذا المقلّد الغليظ للأغارقة الذي شوّه التكوين فجعل المسيح يأخذ فرجارًا من خزانةٍ في السماء ليرسم صُنْعَه على حين يعرض موسى الكائنَ الأزلي خالقًا للعالم بالكلمة؟ وهل أقدر هذا الذي أفسد جهنم تاسُّو وشيطانَه، هذا الذي نكّر إبليس على شكل عُلْجوم[1] تارة وعلي شكل قزم تارة أخرى، فجعله يكرّر ذات الكلام مئة مرة، وحمله على النقاش حول علم اللاهوت، هذا الذي قلد بجد اختراع أريوسْت الهزلي للأسلحة النارية فجعل الشياطين يطلقون المدافع في السماء؟ فلم أستطع أنا، ولا أي واحد في إيطالية، أن نُعجب بجميع هذه الهذيانات الكئيبة، ومن شأن «زواج الخطيئة والموت»، وما تلده الخطيئة من أفاعٍ أن يُقيّئَ كل إنسان فُطِر على شيء من الذوق الدقيق، وما وصف به أحد المشافي لا يصلح لغير حفّار قبور، وقد ازدُرِيَ هذا الشعرُ الغامضُ الغريب الكريه عند ولادته، فأقف اليوم منه موقف المعاصرين في وطنه، ومع ذلك فإنّي أقول ما أفكّر فيه، ولا أبالي إلا قليلًا بتفكير الآخرين مثلي»، وقد غُمّ كنديد بهذه الملاحظات فقد كان يبجّل أوميرُس

(١) العلجوم: الضفدع الذكر.

Twitter: @ketab_n

ويحب مِلتُن بعض الحبّ»، ويقول لمارتن مخافتًا: «واها! أخشى أن يكون هذا الرجل محتقرًا لشعرائنا الألمان احتقارًا كليًّا»، ويقول مارتن: «لا كبير ضرر في هذا»، ويقول كنديد من بين أسنانه: «وي! يا له من رجل رفيع! يا لَبوكو كورنته من عبقريّ كبير! لا يمكن أن يعجبه شيء».

وينزلون إلى الحديقة بعد أن استعرضوا جميع الكتب على ذلك الوجه، ويثني كنديد على جميع محاسنها، ويقول صاحبها: «لا أعرف ما هو أدلّ على فساد الذوق من هذه الحديقة، فليس لدينا هنا غير زخرف حقير، ولكنّي سأبدأ في الغد بالغرس وفق أروع رسم».

ولمّا استأذن ذانك المحبّان للاطّلاع صاحب السعادة في الانصراف قال كنديد لمارتن: «والآن توافق على أنّه أسعد جميع الناس، فهو يعلو جميع ما يحوز»، ويقول مارتن: «ألا ترى أنّه نافر من جميع ما هو حائز؟ وقديمًا قال أفلاطون إنّ المعدة التي ترفض جميع الأغذية ليست أصلح المعد»، ويقول كنديد: «ولكن ألا توجد لذّة في نقد كلّ شيء وفي الشعور بنقائص حيث يعتقد الآخرون وجود روائع؟»، ويقول مارتن: «أيّ شيء يوجد لذّة في عدم التمتّع بلذّة؟»، ويقول كنديد: «حسنًا! إذن، لا سعيد غيري حينما ألاقي الآنسة كونيغوند»، ويقول مارتن: «من الحسن أن يُؤَمّل دائمًا».

وتمضي الأيام والأسابيع مع ذلك، ولا يعود ككنبو مطلقًا، وكان من تبريح الألم بكنديد ما لم يلاحظ معه أنّ باكت والراهب جيرفله لم يأتياه للشكر له على الأقلّ.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

الفصل السادس والعشرون
عشاء كنديد ومارتن مع ستة من الأجانب، ومن كان هؤلاء

بينما كان كنديد ومن ورائه مارتن، ذاهبين، ذات مساء، للجلوس حول المائدة مع الأجانب الذين كانوا يقيمون بالفندق نفسه دنا من خلفه رجل وجهه دخاني اللون وأمسكه من ذراعه وقال له: «استعد للذهاب معنا ولا تُقصّر»، ويلتفت فيجد ككنبو، وما كان غير منظر كونيغوند ليبهره ويروقه أكثر من منظر ككنبو، ويكاد يجن من الفرح، ويعانق صديقه العزيز، ويقول: «كونيغوند هنا لا ريب؟ أين هي؟ خذني إليها، ولأَمُت معها سرورًا»، ويقول ككنبو: «ليست كونيغوند هُنا مطلقًا، بل هي في الآستانة»، «ربّاه! في الآستانة! سأطير إليها ولو كانت في الصين، فلنذهب»، ويجيب ككنبو: «سنسافر بعد العشاء، ولا أستطيع أن أقول لك أكثر من هذا، فأنا عبد، وسيدي ينتظرني، ويجب أن أذهب وأقوم بخدمته حول المائدة، ولا تنبس بكلمة، وتعشّ واستعد».

Twitter: @ketab_n

ويتجاذب الفرحُ والألـمُ كنديد، ويُفتَن كنديد بلقاء عامله المخلص، ويُدهَش من رؤيته عبدًا، وتستولي عليه فكرة لقاء حظيته، ويهتزّ فؤاده، وتضطرب نفسه، ويجلس حول المائدة مع مارتن، الذي كان ينظر إلى جميع هذه المغامرات معتدل الدم، ومع ستة من الأجانب أتوا لقضاء الكرنفال في البندقية.

ويدنو ككنبو، الذي كان يسكب ليسقي أحد هؤلاء الأجانب، من أُذُن سيده في آخر الطعام، ويقول له: «مولاي، متى أردتم السفر، يا صاحب الجلالة، وجدتم السفينة حاضرة»، ويخرج ككنبو بعد أن قال هذا، وينظر بعض المدعوين إلى بعض عن دهش ومن غير أن ينطقوا بكلمة واحدة، وذلك عندما دنا خادم آخر من سيده وقال له: «مولاي، إنّ محمل جلالتكم في بادوا، والزورق حاضر»، ويومئ السيد وينصرف الخادم، وينظر بعض المدعوين إلى بعض أيضًا، ويتضاعف الدهش الشامل، ويدنو خادم ثالث من أجنبي ثالث، ويقول له: «أرى يا مولاي ألّا تبقى جلالتكم زمنًا آخر هنا، وسأذهب لإعداد كل شيء»، ويتوارى من فوره.

وهنالك لم يشكّ كنديد ومارتن في كون هذا من تنكرات الكرنفال، ويقول خادم رابع للسيد الرابع: «تسافرون، يا صاحب الجلالة، متى تريدون»، ويخرج كالآخرين، ويقول الخادم الخامس للسيد الخامس مثل هذا، بيد أنّ الخادم السادس خاطب الأجنبي السادس، الذي كان بجانب كنديد، بما يختلف عن ذلك، فقد قال له: «ثق، يا مولاي، أنّه لا يراد الاعتماد على جلالتك، وعليّ أيضًا،

Twitter: @ketab_n

فيمكن أن نُسجَن كلانا في هذه الليلة، وسأذهب لتدبير أموري، وداعًا».

ولما ذهب جميع الخدم ساد الأجانب الستة وكنديد ومارتن صمت عميق، وأخيرًا قطع كنديد هذا الصمت، وقال: «سادتي، هذا مزاح غريب، فلِمَ تكونون ملوكًا جميعًا، وأمّا أنا ومارتن فلسنا من الملوك كما أعترف لكم».

وهنالك تناول سيد ككنبو الكلام برصانة وقال بالإيطالية: «لست مازحًا مطلقًا، وأُدعى أحمد الثالث، وقد كنت السلطان الأعظم لعدّة سنين، وقد خلعت أخي، فخلعني ابن أخي، وقد قطعت رءوس وزرائي، وأقضي حياتي في السراي القديمة، ويأذن لي ابن أخي السلطان محمود بالسفر أحيانًا نظرًا إلى صحتي، فأتيت لقضاء الكرنفال في البندقية[1]».

ويتكلّم الشابّ الذي كان بجانب أحمد بعد أحمد هذا ويقول: «أدعى إيفان، قد كنت قيصر جميع روسية، وقد خُلِعتُ في المهد، وسجن والديّ فنشّئت في السجن، ويؤذن لي، أحيانًا، في السفر مع مَن يقومون بحراستي، فأتيت لقضاء الكرنفال في البندقية[2]».

---

(١) أحمد الثالث (١٦٧٣-١٧٣٦)، خلع سنة ١٧٣٠، وكان قد خلف أخاه مصطفى الثاني في سنة ١٧٠٣ (م).

(٢) إيفان السادس (١٧٤٠ - ١٧٦٤)، نودي به قيصرا في سنة ١٧٤٠، ثم خلع بعد بضعة أشهر، وأقصي وحبس، ثم أعدم في سنة ١٧٦٤ (م).

Twitter: @ketab_n

ويقول الثالث: «أنا ملك إنكلترة شارل إدوارد[1]، وكان أبي قد تنزّل لي عن حقوقه في المملكة، فقاتلت حفظًا لها، وقد نُزِعَت قلوب ثمانمئة من أنصاري فلُطِمت بها وجوههم، وقد سُجنْت، وأنا ذاهب إلى رومة لزيارة والدي الملك الذي خُلع كما خُلعت وكما خُلع جدي، وقد أتيت لقضاء الكرنفال في البندقية».

وهنالك يتناول الرابع الكلام ويقول: «أنا ملك بولونية[2]، وقد حرمني طالعُ الحرب ممتلكاتي الموروثة، وقد ابتُلي أبي بمثل ما ابتُليت به، وأُسلّم أمري إلى الله كالسلطان أحمد والقيصر إيفان والملك شارل إدوارد أطال الله عمرهم، وقد أتيت لقضاء الكرنفال في البندقية».

ويقول الخامس: «وأنا ملك بولونية[3] أيضًا، وقد خسرت مملكتي مرتين، غير أنّ الله أنعم عليّ بدولة قمت فيها بأعمال صالحة أكثر ممّا استطاعه جميع ملوك السَّرمات على ضفاف الفستولا، وأسلّم أمري إلى الله أيضًا، وقد أتيت لقضاء الكرنفال في البندقية».

ويأتي دور الملك السادس في الكلام فيقول. «سادتي، لست من العظمة كالذي أنتم عليه، ولكنّني أصبحتُ ملكًا في آخر الأمر

---

(١) شارل إدوارد (١٧٢٠ - ١٧٨٨)، وهو ابن لجاك ستيوارت وحفيد لجاك الثاني (م).

(٢) هو أوغست الثالث، وقد طرده فريدريك سنة ١٧٥٦ (م).

(٣) ستانيسلاس لكزنسكي، وقد أضاع بولونية وعُوّض منها باللورين (م).

Twitter: @ketab_n

كأي ملك آخر، فأنا تيودور[1]، وقد انتخبت ملكًا لقورسقة، ودُعيتُ صاحبَ الجلالة، والآنَ لا يكاد الناس ينادونني بالسيد، وقد ضربت نقودًا، والآن لا أملك دينارًا، وقد كان لدي وزيران، والآن لا يكاد يكون عندي خادم، وقد جلست على العرش، ثم أُلقيت على الحصير في سجن بلندن، وأخشى أن أُعامل بمثل هذا هنا، وإن كنت قد أتيت كما أتيتم، يا أصحاب الجلالة، لقضاء الكرنفال في البندقية».

استمع الملوك الخمسة الآخرون لهذا الكلام بحنان كريم، فأعطى كلّ واحد منهم الملك تيودور عشرين سِكْوينا ليشتري بها ثيابا وقمصانًا، وقدم كنديد إليه ألماسة تساوي قيمتها ألفي سكوين، فقال الملوك الخمسة: «إذن، من هذا الرجل العادي القادر على منح ما يعدل مئة ضعف ما أعطى كلّ واحد منا، ومن ينعم به فعلًا؟ هل أنت ملك أيضًا، أيّها السيد؟»، «ـ كلا، يا سادتي، ولا أرغب في هذا مطلقًا».

وبينما كانوا يغادرون المائدة وصل إلى الفندق نفسه أربعة من أصحاب العظمة كانوا قد أضاعوا دولهم نتيجة لطالع الحرب أيضًا، وذلك لقضاء بقية الكرنفال في البندقية، ولكن كنديد لم يلتفت، قطّ، إلى هؤلاء الذين أتوا حديثًا، فما كان يفكر في غير السفر للقاء كونيغوندِهِ العزيز في الآستانة.

---

(١) لقد بقي ملكًا لقورسقة مدة ثمانية أشهر من سنة ١٧٣٦ (م).

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

الفصل السابع والعشرون
سفر كنديد إلى الآستانة

كان ككنبو الوفي قد فاز بإذن من الربّان التركي، الذي سيعيد السلطان أحمد إلى الآستانة، في قبول كنديد ومارتن على سفينته، ويدخل الاثنان السفينة بعد أن سجدا أمام صاحب العظمة البائس، وبينما كانا على الطريق قال كنديد لمارتن: «وهكذا تناولنا العشاء مع ستة ملوك مخلوعين! وهكذا تصدّقت على واحد من هؤلاء الملوك الستة، ومن المحتمل وجود أمراء كثيرين آخرين أشدّ شقاء، وأمّا أنا فلم أفقد غير مئة كبش وأطير إلى ذراعي كونيغوند، فيا مارتن العزيز أقول ثانية إنّ بنغلوس كان على حقّ، فكلّ شيء حسن»، ويقول مارتن: «ذلك ما أتمنّى»، ويقول كنديد: «من الحوادث الغريبة أن كنّا في البندقية، فلم يُرَ فَيُرْوَ قطّ تناول ستة ملوك مخلوعين عشاءهم في فندق معًا»، ويقول مارتن: «ليس هذا أغرب من معظم الأمور التي وقعت لنا، فمن الشائع كثيرًا أن يُخلع ملوك، وأمّا الشرف الذي تمّ لنا في العشاء معهم فأمر لا يستحق انتباهنا، وما قيمة من يُتَعشّى معه على أن يكونَ الطعام فاخرًا؟».

Twitter: @ketab_n

ولم يكد كنديد يكون في المركب حتّى عانق خادمه السابق وصديقه ككنبو، وقال له: «والآن ما تصنع كونيغوند؟ ألا تزال باهرة الجمال؟ أتحبّني دائمًا؟ كيف حالها؟ لا ريب في أنك اشتريت لها قصرا في الآستانة؟».

ويجيب ككنبو: «سيدي العزيز، إن كونيغوند تغسل الصحون على شاطئ بحر مرمرة عند أمير ذي صحون قليلة جدا، وهي أَمَة في منزل ملك سابق اسمه راغوسكي يعطيه سلطان الترك بملجئه ثلاثين ريالًا في كلّ يوم، ولكن الأدعى إلى الحزن كونها أضاعت جمالها وصارت بشعة بشعًا هائلًا»، ويقول كنديد: «آه! جميلة أو بشعة، إنّني رجل ذو شرف، ومن الواجب أن أحبّها دائمًا، ولكن كيف نزلت إلى حال من السفالة بالغة كهذه بالملايين الخمسة أو الستة التي أخذتها؟»، ويقول ككنبو: «حسنا! ألم اضطر إلى إعطاء حاكم بوينوس أيرس، السنيور فرنندو ديبارا ئي فيغيئورا ئي مسكارنس ئي لنبردوس ئي سوزا، مليونين حتّي يأذن في استرداد الآنسة كونيغوند؟ ألم يجردنا أحد القراصين ببسالة من جميع ما بقي؟ ألم يأتِ بنا هذا القرصان إلى رأس متابان وإلي ميلو ونيكاري وساموس وبطرا والدردنيل وبحر مرمرة وأَسكُدار؟ وتخدم كونيغوند والعجوز عند ذلك الأمير الذي حدثتك عنه، وأمّا أنا فعبد السلطان المخلوع»، ويقول كنديد: «يا للبلايا الهائلة المرتبط بعضها في بعض! ومع ذلك لا يزال عندي بضع ألماسات، فسأنقذ كونيغوند بسهولة ومن الخسر الكبير أن تصبح من البشاعة بهذا المقدار».

Twitter: @ketab_n

ثم يلتفت كنديد إلى مارتن ويقول له: «أيّنا تُرى أدعى إلى الرثاء: أنا أو السلطان أحمد أو القيصر إيفان أو الملك شارل إدوارد؟»، ويقول مارتن: «يجب أن أكون في قلوبكم حتّى أعرف»، ويقول كنديد: «آه، لو كان بنغلوس هنا لعرف ذلك وحدثنا عنه»، ويقول مارتن: «لا أعرف الموازين التي يزن بنغلوسك بها مصائب الناس ويقدر بها آلامهم، وكلّ ما أتصوّر هو وجود ملايين من الآدميين في الدنيا يرثى لهم مئة مرّة أكثر ممّا يرثى للملك شارل إدوارد والقيصر إيفان والسلطان أحمد»، ويقول كنديد: «قد يكون هذا».

ويُبلَغ مضيق البحر الأسود بعد أيّام قليلة، ويأخذ كنديد في فداء ككنبو بثمن غالٍ، ويلقي بنفسه وبصحبه في زروق كبير من زوارق الليمان ذهابًا إلى شاطئ بحر مرمرة وبحثًا عن كونيغوند مهما كانت بشعة.

وكان يوجد بين المحكوم عليهم بالأشغال الشاقّة اثنان سيئا الجدف إلى الغاية، فيضربهما الربان التركي بالسوط عدة ضربات على أكتافهما العارية، وينظر كنديد إليهما، عن غير قصد، بأدقّ ممّا يَنظر به إلى المحكوم عليهم الآخرين، ويدنو منهما عن رحمة وتبدو له بعض ملامح وجهيهما المشوهين مشابهة بعض الشبه لبنغلوس ولليسوعي الشقيِّ البارونِ والأخِ للآنسة كونيغوند، وتهزّه هذه الفكرة وتحزنه، وينعم النظر فيهما، ويقول لككنبو: «حقًّا أنّني لو لم أشاهد شنق بنغلوس، ولو لم أُشقَ بقتل البارون، لاعتقدت أنّهما يُجدّفان في هذا الزورق الكبير».

Twitter: @ketab_n

فلما نطق باسم البارون وبنغلوس صرخ المحكوم عليهما بالأشغال الشاقة، ووقفا على مقعديهما ورميا مجاديفهما، فركض الربّان التركي إليهما وضاعف ضربات السوط، فيصيح كنديد قائلًا: «قف! قف! أيّها السيد، فسأعطيك من الدراهم ما تريد»، ويقول أحد المحكوم عليهما: «ماذا! هذا كنديد»، ويقول الآخر: «ماذا! هذا كنديد»، ويقول كنديد: «أهذا حلم؟ أأنا يقظان؟ أأنا في هذا الزورق الليماني الكبير؟ أذاك هو السيد البارون الذي قتلته؟ أذاك هو الأستاذ بنغلوس الذي شاهدت شنقه؟».

ويجيبان: «نحن، نحن»، ويقول مارتن: «ماذا! أهذا هو الفيلسوف العظيم؟» ويقول كنديد: «آه! كم تريد، يا سيدي الربّان التركي من المال فدية عن السيد ثندرتن ترنك الذي هو من أوائل بارونات الإمبراطورية، وعن السيد بنلغوس الذي هو أعظم عالم بما بعد الطبيعة في ألمانية؟»، ويجيب الربان التركي: «أيّها الكلب النصراني، بما أنّ الكلبين النصرانيين المحكوم عليهما بالأشغال الشاقة من البارونات وعلماء ما بعد الطبيعة، وهذا يدلّ على جاههما في بلدهما، فإنّك تعطيني خمسين ألف سكوينا»، «ـ ستُعطاها يا سيدي، فجِئ بي إلى الآستانة كالبرق، وسيُدفع المبلغ إليك حالًا، ولكن، لا، إيتِ بي إلى الآنسة كونيغوند»، وكان الربّان التركي قد أدار صدر الزورق نحو المدينة عملًا بطلب كنديد الأول، فسار بسرعة أعظم من التي يشق الطير بها الهواء.

ويعانق كنديد البارون وبنغلوس مئة مرّة، «وكيف لم أقتلك يا

Twitter: @ketab_n

باروني العزيز؟ وكيف أراك حيًّا بعد أن شنقت يا بنغلوسي العزيز؟ ولِمَ حُكم عليكما بالأشغال الشاقة في تركية؟»، ويقول البارون: «أحقًّا أنّ أختي العزيزة في هذا البلد؟»، ويجيب ككنبو: «أجل».

ويقول بنغلوس بصوتٍ عالٍ: «إذن، أرى كنديدي العزيز ثانية»، ويقدّم كنديد إليهما مارتن وككنبو، ويتعانقون جميعًا، ويتكلّمون كلّهم معًا، وكان الزورق يطير، فصاروا في الميناء ويؤتى بيهودي، ويبيع كنديد منه ألماسة بخمسين ألف سكوينا مع أنّ قيمتها مئة ألف، ويحلف اليهودي بإبراهيم أنّه لا يستطيع أن يدفع أكثر ممّا صنع، ويؤدّي فدية البارون وبنغلوس من فوره، ويقع هذا على قدمي منقِذِه ويبللهما بالدموع، ويقدّم الآخر إليه شكره بإشارة رأس، ويعده بإعادة ماله إليه عند أول فرصة، ويقول: «ولكن هل من الممكن أن تكون أختي في تركية»، ويجيب ككنبو: «لا شيء أكثر إمكانًا من هذا ما دامت تنظف آنية عند أمير من ترنسلفانية»، ويؤتى بيهوديين حالًا، ويبيع كنديد ألماسًا أيضًا، ويذهبون في زروق ليماني آخر لإنقاذ كونيغوند.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

الفصل الثامن والعشرون
ما وقع لكنديد وكونيغوند وبنغلوس ومارتن، إلخ

قال كنديد للبارون: «عفوًا مرّة أخرى، عفوًا، يا أبت المحترم، عن طعنة السيف النجلاء التي اخترقت البدن»، ويقول البارون: «لندع الكلام عنها، لقد كنت على شيء من الحدّة كما أعترف، ولكن بما أنك تريد أن تعرف شيئا عن المصادفة التي رأيتني بها في الزورق الليماني الكبير فإنني أقول لك إنني بعد أن شفيت من جرحي بفضل الراهب الصيدلي في الكلية هاجمتني عصابة إسبانية وخطفتني، فألقيت في السجن ببوينوس أيرس في وقت مغادرة أختي لها، وقد طلبت العود إلى رومة لدى الأب العام، وقد عُيِّنت كاهنا عند السيد سفير فرنسة في الآستانة، ولم تمضِ على قيامي بهذه الخدمة ثمانية أيام حتى أبصرت وقت المساء غلامًا سلطانيًا رائع التكوين، وكان الجو حارًا جدًّ، وكان الغلام يريد الاستحمام، فانتهزت هذه الفرصة وأردت الاستحمام أيضًا، وكنت أجهل أن من الجنايات الكبرى أن يوجد نصراني تامّ العري مع غلام مسلم، ويأمر القاضي بأن أُضرب مئة ضربة بالعصا على باطن قدمي ويحكم عليّ بالأشغال الشاقة في

Twitter: @ketab_n

الليمان، ولا أعتقد فرض ظلم أفظع من هذا، ولكنّني أودّ لو أعرف سبب وجود أختي في مطبخ أمير ترنسلفاني التجأ إلى الترك».

وقال كنديد: «ولكن ما حدث حتّى رأيتك ثانية يا بنغلوسي العزيز؟»، ويقول بنغلوس: «حقًّا أنّك رأيتني مشنوقًا، وكان يجب إحراقي طبعًا، ولكنّك تذكر أنّ المطر كان ينزل مدرارًا حينما استعدوا لتحريقي، وكانت العاصفة من الشدّة ما قُنِط معه من إيقاد النار، فشنقت لأنّه لم يُستَطَع صنع ما هو أروع، ويشتري جراحٌ جثتي ويأتي بي إلى منزله ويشرحني، وكان أول ما فعل هو أنه بَضَع على شكل صليبٍ ما بين السرة والترقوة، ولم يمكن أن يشنق إنسان بأسوأ ممّا شنقت، أجل، إنّ منفذ مآثر التفتيش المقدّس، وهو شمّاس، كان يتقن تحريق الآدميين إتقانًا عجيبًا بالحقيقة، ولكنّه كان غير دَرِبٍ بالشنق، وذلك أنّ الحبل كان مبتلًا فيزلق زلقًا رديئًا وينعقد، والخلاصة أنني كنت لا أزال أتنفّس، وكان من فعل البَضع على شكل صليب أن صرخت صراخًا عظيمًا سقط الجراحيّ به على ظهره، وقد ظنّ أنّه يُشرّح الشيطان ففرّ وهو يكاد يموت من الخوف وكذلك سقط على السلم وهو هارب وتهرع امرأته من غرفة مجاورة بفعل الضجيج فتجدني مستلقيًا على المنضدة مع بضعي الذي هو على شكل صليب، ويعتريها خوف أشدّ من الذي اعترى زوجها، وتفرّ وتقع عليه، فلمّا عاد إليهما شيء من وعيهما سمعت الجراحية تقول للجراح: «لم عنّ لك، أيّها العزيز أن تشرّح ملحدًا؟ ألا تعلم أنّ الشيطان يكون في جسم هؤلاء الناس

Twitter: @ketab_n

دائمًا؟ سأسرع في البحث عن قَس لقراءة العزائم عليه»، وأرتجف من هذا القول، وأجمع ما بقي لي من قوى قليلة فأقول صارخًا: «ارحماني!»، وأخيرًا تشجع الحلاق البرتغالي فرتق جلدي، حتّي إنّ زوجه عنيت بى، فلمّا مضى أسبوعان كنت قادرًا على المشي مرّة أخرى، ويجد الحلّاق لي منصبًا، أي يجعلني خادمًا عند فارس من فرسان مالطة كان ذاهبًا إلى البندقية، ولكن بما أنّه لم يكن عند سيدي ما يدفعه أجرة لي فقد استُخدِمت لدى تاجر بندقي واتبعته إلى الآستانة.

«ويعنّ لى، ذات يوم، أن أدخل مسجدًا، وكان لا يوجد يه غير إمام شائب وفتاة تقية باهرة الجمال تقوم بصلواتها، وكانت بادية الجيد، وكان يوجد بين نهديها طاقة رائعة من الخزامى والورد وشقائق النعمان والحَوْذان والزعفران والأُذَيْنيّ، فتركت طاقتها تسقط، وأجمعها، وأعيدها إليها بتهافت مع عظيم احترام، وأبلغ من تلبثي طويلًا في إعادتها ما يغضب الإمام معه، ويرى أنّني نصراني فيطلب العون، ويؤتى بي إلى القاضي فيأمر بضربي مئة ضربة بالعصا على باطن رجلي، ويحكم عليّ بالأشغال الشاقّة في الليمان، وأُقيَّد في ذات المركب الليماني وعلى ذات المقعد مع البارون، وكان يوجد في المركب عينه أربعة شبان من مَرْسِلْيَة وخمسة قسوس من نابل وراهبان من كورفو قالوا لنا إنّ مثل هذه الحوادث ممّا يقع كلّ يوم، وكان السيد البارون يزعم أنّه عانى ظلمًا أكثر ممّا عانيت، وكنت أزعم أن إعادة طاقة على جيد امرأة أهون كثيرًا من الظهور عاريًا مع

Twitter: @ketab_n

غلام سلطاني، وكنّا لا نكفّ عن الجدال وكنّا نتلقّى عشرين ضربة سوط كلّ يوم حتّى ساقك تسلسل الحوادث في هذا الكون إلى مركبنا ففديتنا».

ويقول له كنديد: «والآن، يا بنغلوسي العزيز، هل ترى سير كلّ شيء في العالم على أحسن ما يكون وقد شُنقت وشُرّحت وأوسعت ضربًا وجدّفت في المركب الليماني؟»، ويجيب بنغلوس بقوله: «لا أزال على رأيي الأول، وذلك لأنّني فيلسوف كما هو حاصل القول فلا يناسبني أن أناقض نفسي، ولأنّ ليبنتز لا يمكن أن يخطئ، وذلك ما دام النظام المقدّر أحسن شيء في العالم، وما دام هذا النظام بالغًا حسن الهَيولى والمادة اللطيفة».

Twitter: @ketab_n

الفصل التاسع والعشرون
كيف لقي كنديد كونيغوند والعجوز

بينا كان كنديد والبارون وبنغلوس ومارتن وككنبو يقصّون مغامراتهم، ويبرهنون حول الحوادث العارضة وغير العارضة في هذا الكون، ويجادلون حول المعلولات والعلل، وحول الشرور الأدبية والمادية، وحول الإرادة والوجوب وحول ما يمكن أن يُشعَر به من سلوان في أثناء الأشغال الشاقة في المراكب الليمانية بتركية، انتهوا إلى منزل أمير ترنسلفانية على شاطئ بحر مرمرة، وأول من بدا لهم كونيغوند والعجوز اللتان كانتا تنشران مناشف على الحبال تجفيفًا لها.

ويمتقع البارون عند هذا المنظر، ويرتد العاشق الرقيق كنديد ثلاث خطوات ويرتجف عند رؤيته كونيغونده الحسناء سمراء عمشاء ذاوية الجيد متكرشة الخدين حمراء الذراعين قشراء الساعدين، ثم يتقدّم عن مجاملة، وتعانق كنديدَ وأخاها، ويعانقان العجوز، ويفدي كنديد الابْنتين.

Twitter: @ketab_n

وكانت في الجوار مزرعة صغيرة، فاقترحت العجوز على كنديد أن يشتريها ريثما يتّفق للزمرة نصيب أوفى ممّا هي عليه، وكانت كونيغوند لا تعرف أنّها شنعت، ولم يخبرها أحد بذلك، وتُذَكّر كنديد الطيب بوعوده تذكيرًا حازمًا لم يجرؤ معه أن يرفضها، ولذا فقد بلّغ البارون عزمه على الزواج بأخته، ويقول البارون: «لا أطيق صدور مثل هذه الدناءة عنها مطلقًا، كما أنّني لا أطيق صدور مثل هذه الوقاحة عنك أبدًا، ولن أعمل ما أُلام به على هذا العار، ولن يُمكِن أولاد أختي أن يدخلوا محافل الشرف بألمانية، كلّا، لن تستطيع أختي غير تزوج أحد بارونات الإمبراطورية»، وترتمي كونيغوند على قدميه وتبلّلهما بالدموع، فلا تلين له قناة، ويقول له كنديد: «أيّها السيد المجنون، لقد أنقذتك من الأشغال الشاقّة في المركب الليماني، وقد فديتك بمالي كما فديت أختك بعد أن كانت تغسل الصحون، وهي شَنِعة، ومن كرمي أن أجعل منها زوجتي، ثم تزعم أنّك تعارضني! لو لبّيتُ نداء غضبي لقتلتك ثانية»، ويقول البارون: «تستطيع أن تقتلني مرّة أخرى، ولكنّك لن تتزوّج أختي ما دمت حيًا».

Twitter: @ketab_n

الفصل الثلاثون
الخاتمة

إذا نُظر إلى قرارة نفس كنديد وُجد أنّه خالٍ من أيّة رغبة في الزواج بكونيغوند، غير أنّ وقاحة البارون حملته على إنجاز عقد الزواج، وتبلغ كونيغوند من شدّة الإلحاح عليه ما لم يستطع معه أن ينقض عهده، ويستشير بنغلوس ومارتن والوفي ككنبو، فأمّا بنغلوس فقد وضع مذكرة رائعة أثبت فيها أنّه لا حقّ للبارون على أخته مطلقًا، فهي تستطيع أن تتزوّج كنديد باليد اليسرى وفق قوانين الإمبراطورية، وأمّا مارتن فقد رأى أن يُلقى بالبارون في البحر، وأمّا ككنبو قد أبصر وجوب إعادته إلى الربان التركي ورجوعه إلى الأشغال الشاقة الليمانية، ثم يُرسَل بأول سفينة إلى الأب العام برومة، ويُستحسَن هذا الرأي وتوافق العجوز عليه، ولا تُنبَّأ به أخته، ويُنفَّذ الأمر بدراهم قليلة ويُسرّ باصطياد يسوعي وبمعاقبة خيلاء بارون ألماني.

أجل، إنّ من الطبيعي أن يتمثّل زواج كنديد بحظيته بعد كثير من

Twitter: @ketab_n

الكوارث، وأن يعيش مع الفيلسوف بنغلوس والفيلسوف مارتن والفطين ككنبو والعجوز ما دام قد أتى بألماس كثير من وطن الإنكا، وأن يقضي أطيب حياة في العالم، بيد أنّ اليهود بلغوا من اختلاسه ما عاد معه لا يملك غير مزرعته الصغيرة، وتصير امرأته أشدّ بشعًا كلّ يوم، وتغدو شرسة لا تطاق، وتكون العجوز عاجزة، وتبدو أشدّ شراسة من كونيغوند، ويعمل ككنبو في المزرعة ويذهب لبيع خضر في الآستانة فيلعن طالعه، ويبأس بنغلوس من عدم تألقه في بعض الجامعات الألمانية، ويقنع مارتن قناعة ثابتة بأنّ السوء يلازم الإنسان في كلّ مكان على السواء فيرضى بالأمور صابرًا، ويتجادل كنديد ومارتن وبنغلوس حول ما بعد الطبيعة والأخلاق أحيانًا، وكان في الغالب، يُرى من تحت نوافذ منزل المزرعة مرور سفن مشحونة بأفندية وباشوات وقضاة مبعدين إلى ليمْني ومِدِلّي وأزْضروم كما كان يرى مجيء قضاة وباشوات وأفندية آخرين ليحلّوا محلّ المنفيين، فيُنفَون بدورهم، وكانت تُرى رءوس محشوة بالتبن لتقدم إلى الباب العالي، وكانت هذه المناظر تضاعف المباحثات، وكان السأم يبلغ غايته من الشدّة عند عدم الجدال في أمر، حتّى إنّ العجوز قد أقدمت على قولها ذات يوم: «أريد أن أعلم أيّ الأمرين شرٌّ من الآخر: اغتصاب الإنسان مئة مرّة من قِبل قراصين الزنوج، وقطع الأليّة، واحتمال العذاب عند البلغار، والجلد والشنق تنفيذًا لحكم تفتيشي، والتشريح، والتجديف في مركب، وابتلاء جميع المكاره التي عاناها كلّ واحد منّا كما هو حاصل الكلام، أو البقاء هنا من غير أن يُعمل شيء؟»، ويقول كنديد: «هذه مسألة عظيمة».

Twitter: @ketab_n

ويسفر هذا الحديث عن تأمّلات جديدة، ويستنتج مارتن، على الخصوص، كون الإنسان يولد ليعيش في غمّ مضطرب، أو في سبات من السأم، ولم يدحض كنديد من هذا أمرًا، ولكن مع عدم توكيده شيئًا، وكان بنغلوس يعترف بأنّه ألم دائمًا ألمًا هائلًا، ولكن بما أنّه ذهب، ذات مرة، إلى أنّ كلّ أمر يسير سيرًا رائعًا فإنّه يؤيّد هذا في كلّ حين، وإن كان لا يعتقد منه قُلامةً.

ويقع أمر يثبت مارتن في مبادئه البغيضة، ويحمل كنديد على الارتياب أكثر ممّا في أيّ زمن كان، ويربك بنغلوس، وذلك أنّهم رأوا، ذات يومٍ، نزول باكت والراهب جيرفله إلى مزرعتهم وهما في أقصى درجات البؤس، وذلك أنّهما استنفدا آلاف القروشِ الثلاثةَ على عجل، وأنّهما تهاجرا وتصالحها وتنازعا وسُجنا وفرّا فتحوّل الراهب جيرفله إلى تركي في آخر الأمر، وداومت باكت على حرفتها في كلّ مكان، وعادت لا تكسب شيئًا، ويقول مارتن لكنديد: «كنت قد أبصرت جيدًا كون عطاياك لا تلبث أن تبدد، وأنّها تجعلهما أكثر بؤسًا، وكنت أنت وككنبو قد طفحتما بملايين القروش، فلستما أكثر سعادة من الراهب جيرفله وباكت، ويقول بنغلوس لباكت: «وي! وي! إذن، يأتي الربّ بك إلينا هنا، يا بُنيّتي المسكينة! ألا تعرفين أنّك أوجبت ضياع أرنبةِ أنفي وعينٍ لي وأذنٍ لي؟ فيا لك من إنسان غريب! آه! ما هذا العالم!»، وتحملهما هذه المغامرة الجديدة على التفلسف أكثر ممّا في أيّ وقت كان.

وكان يوجد في الجوارِ درويش مشهور معدودٌ خيرَ فيلسوف

Twitter: @ketab_n

في تركية، ويذهبون لمشاورته، ويتناول بنغلوس الكلام، ويقول له: «يا أستاذ، أتينا لنرجو منك أن تقول لنا سبب خلق حيوان عجيب كالإنسان».

ويقول الدرويش له: «ما دخلك في الأمر؟ أمن شأنك هذا؟»، ويقول كنديد: «ولكن، يا أبت المحترم، يوجد شر هائل في الدنيا»، ويقول الدرويش: «وما أهمية وجود خير أو شر؟ إذا ما أرسل صاحب العظمة سفينة إلى مصر فهل يبالي بكون الفئران في السفينة مستريحة أو لا؟»، ويقول بنغلوس: «إذن ما يجب أن يُصنَع؟»، ويقول الدرويش: «أن تَقطَع لسانَك عن الكلام». ويقول بنغلوس: «أطمع أن أباحثك قليلا في المعلولات والعلل، وفي أحسن ما يمكن من العوالم وفي أصل الشر وفي طبيعة الروح وفي النظام المقدر»، فلمّا سمع الدرويش هذا الكلام أغلق الباب بعنف في وجوههم.

وفي أثناء هذا الحديث ذاع خبر قائل بأنّه خُنق في الآستانة وزيران مع الفتى، وبأنّه وُضِع على الخازوق كثير من أصدقائهم، فأدّت هذه النكبة إلى ضجة كبيرة في كل مكان بضع ساعات، وبينا كان بنغلوس وكنديد ومارتن عائدين إلى المزرعة الصغيرة لاقوا شيخًا ساذجًا يتبرّد تحت عريش من شجر البرتقال قائم عند بابه، ويسأله بنغلوس، الذي كان محبًّا للاطلاع كما كان كثير الاستدلال، عن اسم المفتي الذي خُنق، ويجيب هذا الرجل البسيط بقوله: «لا أعرف شيئًا عن ذلك، ولم يحدث، قط، أن عرفت اسم مفتٍ أو اسم وزير، وأجهل جهلًا مطلقًا ما تكلموننى عنه من خبر، وأظنّ، على

Twitter: @ketab_n

العموم، أنّ الذين يتدخلون في الشئون العامة يهلكون ببؤس أحيانًا جزاءً وفاقًا، ولكنّني لا أسأل عمّا يحدث في الآستانة مطلقًا مكتفيًا بأن أرسل إليها للبيع ثمرات الحديقة التي أزرعها»، قال هذا الكلام وأدخل الأجانب إلى منزله، وتُقدم بنتاه وابناه إليهم أنواعا كثيرة من الشراب صنعوها بأنفسهم، كما قدموا إليهم قشدة معللة بمربَّبِ قشر التُّرُنج وبرتقالًا وحامضا وليمونا وأنَناسا وفستقا وقهوة يمانية لم تخلط قط ببُنّ بُتافيا والجُزُر الرديء، ثم عطرت بنتا المسلم الصالح لحى كنديد وبنغلوس ومارتن.

ويقول كنديد للتركي: «لا بدّ من وجود أرض واسعة رائعة لك؟»، ويجيب التركي: «لا أملك غير عشرين فدانًا أزرعها مع أولادى، فالعمل يدفع عنّا ثلاثة شرور كبيرة: السأم والرذيلة والعوز».

ويعود كنديد إلى مزرعته ويقوم بتأمّلات عميقة حول كلام التركي، ويقول لبنغلوس ومارتن: «يبدو لي أنّ ذلك الشيخ الصالح اختار لنفسه نصيبًا أفضل من نصيب الملوك الستة الذين كان لنا شرف العشاء معهم»، ويقول بنغلوس: «يرى جميع الفلاسفة أنّ المقامات العالية خطرة جدًّا، فممّا وقع أنّ ملك المؤابيين، عجلون، قتل من قِبل أهُود، وأنّ أبشالوم عُلّق من شعره وطُعن بنبال ثلاث، وأنّ الملك ناداب بن يربعام قُتل من قِبل بعْشَا، وأنّ الملك أيلة قُتل من قبل زمْرى، وأنّ أَخْزيا قُتل من قِبل ياهو، وأنّ عَتَلْيا قُتلت من قِبل يَهويَاداع، وأنّ الملوك يهوياقيم ويَكُنْيا وصِدْقِيّا صاروا عبيدا، وهل تعرف كيف هلك كريزوس وأَسْتياغ وداراودِينس السَّرَقوسي وبِرّوس وبِرْسوس

Twitter: @ketab_n

وأنيبال وجوغورتا وأَرْيوفِستوس وقيصر وبونبي ونيرون وأوتون وفيتِليوس ودومِسْيان وريشارد الثاني الإنكليزي وإدوارد الثاني وهنري السادس وريشارد الثالث وماري ستُوارت وشارل الأول والهنريون الفرنسيون الثلاثة والإمبراطور هنري الرابع، وأنت تعرف..»، ويقول كنديد: «وأعرف، أيضًا، أنّه يجب أن نُزرع حديقتنا»، ويقول بنغلوس: «الحقّ معك، وذلك لأنّ الإنسان عندما جُعل في جنّة عدن جُعل بها ليعمل «فيفلحها ويحرسها»، ويثبت هذا أنّ الإنسان لم يولد للراحة»، ويقول مارتن: «لنعمل من غير برهنة، فالعمل هو الوسيلة الوحيدة التي تطاق بها الحياة».

أخذت تلك الجماعة الصغيرة كلّها تطبّق هذا المشروع المحمود، وأخذ كلّ واحد يمارس مواهبه، فصارت المزرعة الصغيرة تأتي بدخل كثير، أجل، كانت كونيغوند بشعة كثيرًا في الحقيقة، غير أنّها غدت حلوانية بارعة، وتطرز باكت، وتعنى العجوز بالبياضات، حتّى إنّ الراهب جيرفله يقوم بخدمة، فقد صار نجارًا ماهرًا، وأصبح رجلًا صالحًا أيضًا، وكان بنغلوس يقول لكنديد أحيانًا: «إنّ جميع الحوادث آخذٌ بعضها برقاب بعض في أحسن ما يمكن من العوالم، وذلك لأنّك لو لم تطرد من قصر جميل بضربات رجل في عجزك من أجل غرامك بالآنسة كونيغوند، ولو لم تؤخذ من ناصيتك في محكمة التفتيش، ولو لم تطف في أمريكة ماشيًا، ولو لم تطعن البارون بالسيف طعنة نجلاء، ولو لم تفقد جميع كباشك التي أخذتها من البلد الطيب، إلدورادو، ما أكلت هنا ترنجًا مربىً وفستقًا»، فيجيب كنديد: «هذا قولٌ حسنٌ، ولكن يجب علينا أن نزرع حديقتنا».

Twitter: @ketab_n

أعمال المترجم

١ ـ روح الشرائع (جزءان)	لمونتسكيو
٢ ـ العقد الاجتماعي	لجان جاك روسو
٣ ـ أصل التفاوت بين الناس	لجان جاك روسو
٤ ـ إميل أو التربية	لجان جاك روسو
٥ ـ كنديد أو التفاؤل	لفولتير
٦ ـ الرسائل الفلسفية	لفولتير
٧ ـ حديقة ابيقور	لأناتول فرانس
٨ ـ الآلهة عطاش	لأناتول فرانس
٩ ـ تلماك	لفنلون
١٠ ـ ابن رشد والرشدية	لأرنست رينان
١١ ـ حضارة العرب	لغوستاف لوبون
١٢ ـ حضارات الهند	لغوستاف لوبون
١٣ ـ روح الجماعات	لغوستاف لوبون
١٤ ـ السنن النفسية لتطور الأمم	لغوستاف لوبون
١٥ ـ فلسفة التاريخ	لغوستاف لوبون

Twitter: @ketab_n

١٦ ـ روح التربية	لغوستاف لوبون
١٧ ـ حياة الحقائق	لغوستاف لوبون
١٨ ـ الآراء والمعتقدات	لغوستاف لوبون
١٩ ـ روح الثورات والثورة الفرنسية	لغوستاف لوبون
٢٠ ـ روح الاشتراكية	لغوستاف لوبون
٢١ ـ روح السياسة	لغوستاف لوبون
٢٢ ـ اليهود في تاريخ الحضارات	لغوستاف لوبون
٢٣ ـ مجالي الإسلام	لحيدر بامات
٢٤ ـ حياة محمد	لأميل در منغم
٢٥ ـ تاريخ العرب العام	لسيديو
٢٦ ـ النيل	لأميل لودويغ
٢٧ ـ البحر المتوسط	لأميل لودويغ
٢٨ ـ كليوباترة	لأميل لودويغ
٢٩ ـ بسمارك	لأميل لودويغ
٣٠ ـ نابليون	لأميل لودويغ
٣١ ـ ابن الإنسان	لأميل لودويغ
٣٢ ـ الحياة والحب	لأميل لودويغ
٣٣ ـ ابن خلدون وفلسفته الاجتماعية	لبوتول
٣٤ ـ أصول الفقه الدستوري	لايسمن
٣٥ ـ الغزالي	لكرادوفو
٣٦ ـ ابن سينا	لكرادوفو
٣٧ ـ مفكرو الإسلام (جزءان)	لكرادوفو

Twitter: @ketab_n

عن المترجم

عادل عمر زُعيتِر (١٨٩٧ - ١٩٥٧) ولد في نابلس، وأتمّ فيها دراسته الابتدائية قبل أن ينتقل إلى المدرسة الإعدادية في بيروت، وبعدها إلى الكلية السلطانية بالآستانة.

كان ضابطًا احتياطيًّا في الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٦، قبل أن يهرب من الجيش العثماني وينضمّ إلى الجيش العربي بقيادة الأمير فيصل بن الحسين، وقد حكم الترك عليه بالإعدام غيابيًّا سنة ١٩١٧.

عام ١٩١٩ ناب عن مدينة نابلس في المؤتمر السوري بدمشق، وهو المؤتمر الذي أعلن استقلال سوريّة بحدودها الطبيعية وأسهم في وضع دستور المملكة السورية لذلك العهد.

عندما احتلّ الفرنسيّون دمشق سنة ١٩٢٠ غادرها إلى باريس حيث درس القانون، وبدأ يترجم بعض أعمال جوستاف لوبون.

Twitter: @ketab_n

ونال في سنة ١٩٢٥ شهادة الحقوق وعاد إلى فلسطين ليعمل محاميًا ويدرّس القانون في معهد الحقوق بالقدس من سنة ١٩٢٧ إلى سنة ١٩٣٦.

وقد دافع متطوّعًا عن المتّهمين السياسيين في قضايا ثورة سنة ١٩٢٩ بنابلس وصفد واضطرابات سنة ١٩٣٠ وسنة ١٩٣٣ وثورة ١٩٣٦ وغيرها ومثّل نابلس في جميع المؤتمرات الفلسطينية وناب عنها في لجنتها التنفيذية.

ثم استقال من التدريس في معهد الحقوق وتفرّغ للكتابة والترجمة؛ فنَقَل إلى اللّغة العربية سبعة وثلاثين مجلّدًا من روائع الفكر العالمي.

بحلول النكبة عام ١٩٤٨ أعدّ الكثير من المذكّرات والبيانات السياسية التي دعا فيها إلى وحدة الصفّ الوطني مصارحًا قادة العرب بعيوبهم.

انتُخب في سنة ١٩٥٣ عضوًا في المجمع العلمي العراقي، وانتخب في سنة ١٩٥٥ عضوًا مراسلًا للمجمع العلمي العربي في دمشق.

Twitter: @ketab_n

الفهرس

مقدمة المترجم ٥

الفصل الأول: كيف نُشِّئ كنديد في قصرٍ جميلٍ وطُرِدَ منه ١٥

الفصل الثاني: ما حدث لكنديد بين البُلغار ١٩

الفصل الثالث: كيف نجا كنديد من البُلغار وما وقع له ٢٣

الفصل الرابع: كيف لاقي كنديد معلمه القديم
في الفلسفة: الدكتور بنغلوس وما وقع له ٢٧

الفصل الخامس: عاصفة وغرق وزلزلة وما وقع للدكتور
بنغلوس وكنديد والتعميدى: جاك ٣٣

الفصل السادس: كيف صدر حكم تفتيشيّ رائع
لمنع الزلازل وكيف جُلِد كنديد على أَلْيَيْه . ٣٧

الفصل السابع: كيف عُنيت عجوز بكنديد وكيف وجد مَن
كان يحبّ ٣٩

الفصل الثامن: قصة كونيغوند ٤٣

Twitter: @ketab_n

الفصل التاسع: ما وقع لكونيغوند وكنديد
وقاضي التفتيش الأكبر ولليهودي ٤٧

الفصل العاشر: كيف وصل كنديد وكونيغوند والعجوز
إلى قادس في كرب شديد وكيف أبحروا ٥١

الفصل الحادي عشر: قصة العجوز ٥٥

الفصل الثاني عشر: تكملة مصائب العجوز ٦١

الفصل الثالث عشر: كيف اضطر كنديد إلى الانفصال
عن كونيغوند الحسناء وعن العجوز ٦٧

الفصل الرابع عشر: كيف قبل كنديد وككنبو
من قبل يسوعيي البراغواي ٧١

الفصل الخامس عشر: كيف قتل كنديد أخا كونيغوند العزيزة ٧٧

الفصل السادس عشر: ما وقع للسائحين مع فتاتين وقردين
والمتوحشين الذين يدعون الأوريون .٨١

الفصل السابع عشر: وصول كنديد وخادمه
إلى بلد إلدورادو وما شاهدا فيه ٨٧

الفصل الثامن عشر: ما شاهداه في بلد إلدورادو ٩٣

الفصل التاسع عشر: ما وقع لهما في سورينام
وكيف تعرف كنديد بمارتن ١٠١

الفصل العشرون: ما وقع لكنديد ومارتن في البحر ١٠٩

Twitter: @ketab_n

الفصل الحادي والعشرون: يدنو كنديد ومارتن من شواطئ فرنسة ويتحاوران ١١٣

الفصل الثاني والعشرون: ما وقع لكنديد ومارتين في فرنسة . ١١٧

الفصل الثالث والعشرون: ذهاب كنديد ومارتن إلى شواطئ إنكلترة وما رأيا هنالك ١٣١

الفصل الرابع والعشرون: باكت والراهب جيرفله ١٣٥

الفصل الخامس والعشرون: زيارة الشريف البندقي السنيور بوكوكورنته ١٤١

الفصل السادس والعشرون: عشاء كنديد ومارتن مع ستة من الأجانب، ومن كان هؤلاء ... ١٤٩

الفصل السابع والعشرون: سفر كنديد إلى الآستانة ١٥٥

الفصل الثامن والعشرون: ما وقع لكنديد وكونغوند وبنغلوس ومارتن، إلخ ١٦١

الفصل التاسع والعشرون: كيف لقي كنديد كونيغوند والعجوز ١٦٥

الفصل الثلاثون: الخاتمة ١٦٧

أعمال المترجم ١٧٣

عن المترجم ١٧٥

Twitter: @ketab_n

فولتير (1694 - 1778) روائي وفيلسوف ومؤرخ من أهم مثقفي عصر التنوير في فرنسا. اشتهر عالميا بدفاعه عن الحريات المدنية مثل حرية الاعتقاد، وحرية التعبير، وفصل الدين عن الدولة. كان فولتير كاتبا غزير الإنتاج، كتب الرواية والشعر والمسرح والمقالة وحتى الكتابة التاريخية والعلمية. نشر أكثر من 20000 رسالة موجهة إلى الجمهور، وأكثر من 2000 كتاب وكراسة. رغم الرقابة والقوانين التي تحميها بشراسة والتي سجن بسببها فولتير مرتين، ظل الفيلسوف المتمرد يسخر سخرية لاذعة من العديد من المؤسسات والمعتقدات الراسخة في عصره.

Twitter: @ketab_n

عادل زعيتر (1865 - 1924) واحد من شيوخ الترجمة في العالم العربي. ترجم 37 كتابا من أمهات الكتب في الثقافة الغربية وعرف القارئ العربي على أسماء من أمثال فولتير، وروسو، مونتسكيو، وإميل لودفيج. ترجم عادل زعيتر من الفرنسية والألمانية والإنجليزية والتركية.

Twitter: @ketab_n

عندما نلاحظ ظواهر مثل إعادة تفشي الأصولية في الولايات المتحدة، ورعب التطرف الديني في الشرق الأوسط، والخطر المروع المفروض على العالم، والمتمثل في حلف انعدام التسامح السياسي. سنستنتج بكل ثقة، أننا لازلنا نستطيع الانتفاع من نموذج الوضوح والفطنة والأمانة الفكرية والشجاعة الاخلاقية لدى فولتير.

أ. ج. آيور
فيلسوف انجليزي

في بيت عمّه تربّى كنديد على يد مدرّسه بنغلوس. علّمه المدرس مذهب ليبنتز في الفلسفة الدينية والذي يقول بأن العالم كما هو عليه الآن هو أفضل ما يمكن، وأن على الإنسان أن يرضى فليس في الإمكان أبدع مما كان. عما قليل سيكتشف العم حب كنديد لابنته كونيغوند فيطرده لتكون أولى الصدمات. يبدأ كنديد التساؤل حول فلسفة معلّمه بينما يشهد زلزال أشبونة والدمار الذي خلّفته على أوروبا حرب السنوات السبع. وينطلق في رحلة يجوب فيها الآفاق في محاولة للمّ شمله على حبيبته، وهو في ذلك يطالع اختلافات البشر ويجادل بسخرية تختلط بالفانتازيا ضد كل ما هو حميد ومع كل ما هو نحرر، قبل أن يصل في نهاية روايته إلى القول: "يجب أن نزرع حديقتنا".

كنديد رواية ضد الخمول والركون لليقين المزيف، ومع الطموح والشغف بالسؤال وبالتغيير. ورحلة كنديد هي انتصار للمغامرة الصعبة اللذيذة التي يسمونها "الحياة"، وهي اليوم صالحة للقراءة والتدبر كما كانت بالضبط – وربما أكثر -عندما نشرها فولتير سرًا للمرة الأولى عام 1759.

ISBN 978-9953-582-41-2
9 789953 582412
السنوير
بيروت - القاهرة - تونس
www.dar-altanweer.com